

جامعة الأزهر  
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود  
المجلة العلمية

الحجاج ووسائله البلاغية  
في مناظرة الأذرمي وابن أبي دؤاد

إعراء

د/ رضا العزب يوسف العزب

قسم اللغة العربية

كلية الآداب، جامعة دمياط

( العدد الخامس والثلاثون )

( الإصدار الثاني .. أكتوبر )

( ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م )

علمية- محكمة- نصف سنوية

الترقيم الدولي: ISSN ٢٥٣٥-١٧٧X



## الحجاجُ ووسائله البلاغية في مناظرة الأذرمي وابن أبي دؤاد

رضا العزب يوسف العزب

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة دمياط، جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: [redaazab173@yahoo.com](mailto:redaazab173@yahoo.com)

### الملخص:

يسعى هذا البحث جاهداً إلى الكشف عن الحجاج ووسائله البلاغية في إحدى المناظرات العقائدية بوصفها نمطا من أنماط الخطاب الحجاجي الذي ازدهر في بلاط الخلافة العباسية، وهي مناظرة أبي عبد الرحمن الأذرمي (ت ٢٤١هـ: ٢٥٠هـ)، وأحمد بن أبي دؤاد المعتزلي (ت ٢٤٠هـ) في بدعة القول بخلق القرآن؛ للوقوف على الدور الحجاجي للوسائل البلاغية في المناظرة مع بيان قدرة الأذرمي على توظيفها توظيفا حجاجيا في تقرير الحق وتمكينه من قلوب المتلقين، وقد أوضحت الدراسة فاعلية الوسائل البلاغية التي وظفها الأذرمي في الاحتجاج للمعاني وإعادة التشكيل الإقناعي لدى بعض الخصوم، فتحققت توبة أبرز خصومها؛ وهو الخليفة الواثق بالله وابنه المهتدي، وانتهى حمل الناس على القول بخلق القرآن من ختام هذه المناظرة إلى خلافة المتوكل على الله، وقد أبانت الدراسة عن أن الوظيفة الحجاجية للبلاغة لا تقل في الأهمية عن وظيفتها الإمتاعية، بل إنها تستهدفهما معا في الخطاب الحجاجي؛ وعلى المخاطب أن يحمل المتلقي على الإذعان والتسليم. وقد اقتضى الأمر أن نستعين بالوصف أداة للتحليل.

**الكلمات المفتاحية:** الحجاج، البلاغة، مناظرة، الأذرمي، ابن أبي دؤاد.

## **The pilgrims and their rhetorical means in the debate of al-Adrami and Ibn Abi Duwad**

**Reda El-Azab Youssef El-Azab**

**Department of Arabic Language, Faculty of Arts,  
Damietta University, Arab Republic of Egypt**

**Email: redaazab١٧٣@yahoo.com**

**Abstract:** This research strives to reveal Al-Hajjaj and his rhetorical means in one of the doctrinal debates as a type of Al-Hajjaji discourse that flourished in the court of the Abbasid Caliphate, which is the debate of Abi Abdul Rahman Al-Adrami (d. ) in the heresy of saying that the Qur'an was created; To find out the role of the rhetorical means in the debate with an indication of the ability of Al-Azrami to employ them in a pilgrim way in determining the truth and empowering it in the hearts of the recipients. He is the trusting Caliph in God and his guided son. The people were led to believe in the creation of the Qur'an from the conclusion of this debate to the succession of Al-Mutawakkil on God. The study showed that the argumentative function of rhetoric is no less important than its entertaining function. Rather, it targets both of them in the argumentative discourse; The addressee must compel the recipient to acquiesce and submit. It was necessary to use the description as a tool for analysis.

**Keywords:** Hajjaj, Rhetoric, Debate, Al-Adrami, Ibn Abi Duwad.

## الْحِجَاجُ وَوَسَائِلُهُ الْبَلَاغِيَّةُ فِي مُنَازَرَةِ الْأَذْرَمِيِّ وَابْنِ أَبِي دُوَادٍ

الحمد لله على حجج القرآن والسنة، والصلاة والسلام على نبينا محمد خير ناصح للأمة، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد،

فيعد الحجاج واحداً من أبرز الوسائل الإقناعية التي يعتمد عليها العلماء في إثبات أمر أو نفيه في مناظرات العقيدة، والفقه، واللغة...، وقد نشأت جل العلوم الشرعية على أصول حجاجية، ووسائل إقناعية، تهدف إلى التسليم والإذعان بالدليل من الكتاب والسنة. وتعد مناظرة الأذرمي لأحمد بن أبي دؤاد المعتزلي في بدعة القول بخلق القرآن من أبرز المناظرات التي انتهت بإذعان وتسليم بعض خصومها وتوبتهم؛ كالوائق بالله، وابنه المهتدي، وغيرهما، ولذا اكتسبت هذه المناظرة أهمية عظيمة من حيث تحقق نتائجها الإقناعية بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، فزالَت شبهة ابن أبي دؤاد، وانكشفت الغمة، وصار الناس والعلماء في أمن وأمان بعدما كانوا في محنة القول بخلق القرآن، ومع ذلك لم تتل هذه المناظرة -فيما أعلم- نصيباً من الدراسة في حقل البلاغة الحجاجية، ومن ثم جعلت هذه الدراسة بعنوان: **الْحِجَاجُ وَوَسَائِلُهُ الْبَلَاغِيَّةُ فِي مُنَازَرَةِ الْأَذْرَمِيِّ وَابْنِ أَبِي دُوَادٍ**.

إن هذه الدراسة تمضي ومن وكدها النهوض بالبلاغة من التطويع العقائدي لخدمة الأهواء إلى أن تكون من أبرز وسائل الحجاج ودرء المرء، كما فعل الأذرمي في مناظرته لابن أبي دؤاد، ومن ثم تسعى الدراسة للإجابة عن عدة استفسارات؛ أهمها: ما الوسائل البلاغية التي وظفها الأذرمي في إجماع الخصم الحجة؟ وكيف استهل الأذرمي مناظرته مع خصمه؟ وهل وُفق في توظيف الوسائل البلاغية لحمل الخصم على الإذعان والتسليم أم لا؟ وهل للتبادل الحجاجي في المناظرات أثر على السلوك والمعتقدات؟ وبأي شيء تميز حجاج الأذرمي في بدعة القول بخلق القرآن عن غيره، حتى تحققت النتيجة الكبرى من هذه المناظرة بالعفو عنه، والإذن له بالرجوع لموطنه، وتوبة الواثق بالله وابنه المهتدي، مع الانتهاء من

امتحان الناس في القول بخلق القرآن؟ وقد انتظمت الدراسة على النحو التالي:

أولاً : موقف البلاغيين من القول بخلق القرآن.

ثانياً: الحجاج في اللغة والاصطلاح.

ثالثاً: المناظرة؛ صورها، وأطرافها، ونصها.

رابعاً: الوسائل البلاغية للحجاج في المناظرة.

١- الاستهلال وأدواره الحجاجية في المناظرة.

٢- حجاجية تقديم النتيجة على المقدمات.

٣- بلاغة الإلزامات الحجاجية في المناظرة.

٤- الإلجاء إلى الجواب المعين.

٥- الإطناب ودوره الحجاجي في المناظرة.

أ- الإطناب بالإيضاح والتفسير.

ب- الإطناب بالازدياد من الحجج.

ت- التكرار وأثره في تقرير الحجة.

ث- الربط الاستشهادي بالآيات (الاقْتِباس).

٦- بلاغة السؤال الحجاجي.

٧- البعد الحجاجي للطباق في المناظرة.

٨- حجاجية الألفاظ والتراكيب:

٩- حسن الختام ودوره الحجاجي في المناظرة.

١٠- الخاتمة.

١١- المصادر والمراجع.

واتبعت المنهج الوصفي التحليلي في معالجة هذا الموضوع، وأرجو

من الله التوفيق والسداد. قال تعالى: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

[هود: ٨٨].

### التمهيد:

لم يكن القول بخلق القرآن ببعيد عن مصنفات بعض البلاغيين ممن تعصبوا للمعتزلة والأشاعرة، ولم تخل كتب السنة من المناظرات التي ساهمت في الاحتجاج عليهم؛ مما يحتاج إلى الاستقلال بدرك ما في مناظرة الأذرمي وابن أبي دؤاد من وسائل حجاجية بلاغية.

أولاً: موقف البلاغيين من القول بخلق القرآن<sup>(١)</sup>:

اختلفت آراء البلاغيين في القرآن لا اختلاف معتقداتهم، فلابن قتيبة من أهل السنة باب في الرد على القائلين بخلق القرآن، انتصر فيه لمذهب أهل الحديث والسنة، ونقل إجماعهم، فقال: "أهل الحديث مجمعون على أصل واحد، وهو القرآن كلام الله غير مخلوق في كل موضع، وبكل جهة، وعلى كل حال<sup>(٢)</sup>، وللجاحظ المعتزلي المحترق رسالة في خلق القرآن، وقد ضمنها تأييداً لابن أبي دؤاد في محاربتة لأهل السنة وامتحان أئمتهم، ومنهم: الإمام أحمد بن حنبل، واتهمهم فيها بالضغينة والتهجم على المتكلمين...، فالمعتزلة عنده أهل نظر وتنزيه، والمخالفين لهم أهل حشو وجهل وتشبيه، وله في ذلك رسالة أخرى في نفي التشبيه يحرض فيها ابن أبي دؤاد على أهل الحديث باعتبارهم مشبهة<sup>(٣)</sup>، وأما عن موقف أبي هلال العسكري من مقولة خلق القرآن، فمن اطلع على مؤلفاته أدرك أنه معتزلي

(١) اقتصر على بعض البلاغيين باختلاف معتقداتهم؛ لأن التتبع والاستقراء

مما لا يتسع له هذا المقام، وليكون القارئ على وعي بمخالفة أغلبهم لأهل السنة.

(٢) الدينوري، ابن قتيبة: الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، تحقيق:

عمر بن محمود، ط١، دار الراجعية، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، ٥٧/١

(٣) ينظر: رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، ط١، القاهرة، مكتبة الخانجي،

١٣٩٩هـ، ٢٨٣/٣، ٢٩٢، ٢٨٧/١. بتصرف

النشأة والتلقي، وقد عدد مناقب بعض علمائهم، وأشار إلى بعض أصولهم، ومما يدل على قوله بخلق القرآن إقراره "لقول بعضهم لأبي علي محمد بن عبد الوهاب: ما الدليل على أن القرآن مخلوق؟ قال: إن الله قادر على مثله، فما أحرار السائل جواباً"<sup>(١)</sup>. وهناك نصوص كثيرة لأئمة الأشاعرة فيها التصريح بخلق القرآن العربي المنزل على نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، وأنهم متفقون مع المعتزلة في ذلك، وأنّ الخلاف بينهم وبين المعتزلة؛ إنما هو في إثبات الكلام النفسي ونفيه"<sup>(٢)</sup>، وعبد القاهر الجرجاني نحوي وبلاغي وأشعري؛ يدافع عن آراء الأشاعرة ويرد على المعتزلة، "مع تأويله لعدد من الصفات؛ كالاستهزاء، والمكر، والمخادعة، والعينين، واليمين، والمجيء"<sup>(٣)</sup>، ولا شك في أنه على طريقة الأشاعرة في القرآن؛ لدفاعه عنهم وعدم ثبوت نقدهم. قال ابن قدامة: "خالفوا الكتاب والسنة، وأهل اللغة والعرف"<sup>(٤)</sup>. ومن أشد المدافعين عن المعتزلة تصريحا وتلميحا الزمخشري؛ "فأول ما صنف الكشاف كتب استفتاح الخطبة (الحمد لله الذي خلق القرآن)، فيقال: إنه قيل له: متى تركته على هذه الهيئة هجره الناس ولا يرغب أحد فيه، فغيره بقوله: الحمد لله الذي جعل القرآن، وجعل عندهم بمعنى خلق، والبحث في ذلك يطول. وفي كثير من النسخ الحمد لله الذي

(١) ينظر: عليو، محمد الشيخ: مناهج اللغويين في تقرير العقيدة إلى نهاية القرن الرابع

الهجري، الرياض، دار المنهاج، ١٤٢٧هـ، ٦٤٣، وما بعدها.

(٢) المقشي: مذهب جمهور الأشاعرة في القرآن، ٢٣.

(٣) ينظر: الصامل: المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة: ٤٩، ٥٠.

(٤) ابن قدامة المقدسي، أبو محمد موفق الدين: روضة الناظر وجنة المناظر في

أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ط٢، مؤسسة الريان،

١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، ١/٥٤٤.



أنزل القرآن، وهذا إصلاح الناس لا إصلاح المصنف"<sup>(١)</sup>، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأما" الزمخشري؛ فتفسيره محشو بالبدعة، وعلى طريقة المعتزلة من إنكار الصفات، والرؤية، والقول بخلق القرآن، وأنكر أن الله مريد للكائنات وخالق لأفعال العباد، وغير ذلك من أصول المعتزلة... وهذه الأصول حشا بها كتابه بعبارة لا يهتدي أكثر الناس إليها ولا لمقاصده فيها، مع ما فيه من الأحاديث الموضوعة، ومن قلة النقل عن الصحابة والتابعين"<sup>(٢)</sup>، وقد أقر الشريف الجرجاني بأنه على منهج المعتزلة في القرآن، فقال: "وقالت المعتزلة: كلامه تعالى أصوات وحرروف... لكنها ليست قائمة بذاته تعالى، بل يخلقها الله في غيره؛ كاللوح المحفوظ أو جبريل أو النبي، وهو حادث... وهذا الذي قاله المعتزلة لا ننكره نحن، بل نقول به ونسميه كلامًا لفظيًا، ونعترف بحدوثه وعدم قيامه بذاته تعالى، لكننا نثبت أمرًا وراء ذلك وهو المعنى القائم بالذات الذي يعبر عنه بالألفاظ، ونقول هو الكلام حقيقة، وهو قديم قائم بذاته تعالى"<sup>(٣)</sup>، وممن غلب انشغالهم بالشعر حازم القرطاجني، ومن تتبع القرآن في منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أدرك أنه "لم يرد في المطبوع من كتابه سوى آيتين، وقد تأثر بأرسطو مما يجعل منهجه أقرب إلى المعتزلة"<sup>(٤)</sup>. وحاصل الأمر أن من البلاغيين من يبوح

(١) ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان

عباس، ط١، بيروت، دار صادر، ١٧٠/٥

(٢) ابن تيمية، تقي الدين: مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد، السعودية،

مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م،

٣٨٦/١٣، ٣٨٧.

(٣) المقشي، محمد بن عبد الله: مذهب جمهور الأشاعرة في القرآن باطنه الاعتزال

وظاهره التستر بمذهب السلف، ط١، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م، ٢٣.

(٤) ينظر: الصامل: محمد بن علي: المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة، ٧٤.

بتصرف.

بعقيدته في القرآن، ويرى أنه مخلوق، بل ويجعله عنواناً لإحدى رسائله كالجاحظ، أو يستهل بها كتابه كالزمخشري، ومنهم من مال إلى الاعتزال في تأويل الصفات، ولم تشتمل مؤلفاته على دلائل واضحة عن عقيدته في القرآن، ومنهم من هم أشد من المعتزلة في هذه المسألة وهم جمهور الأشاعرة، مما لا مجال لاستقصائه في هذا الموضوع، والبلاغيون من أهل السنة؛ كابن قتيبة، وابن تيمية، وابن القيم، وغيرهم على أن القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، ولهم في ذلك جهد لا ينكر وفضل لا يغفل. وهم في ذلك تبع للحق وأهله، وقد عدّ اللالكائي "أكثر من خمسمائة وخمسين نفساً من التابعين وتابعيهم، كلهم قالوا: القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال: مخلوق، فهو كافر، ثم قال: ولو اشتغلت بنقل قول المحدثين لبلغت أسماؤهم ألوفاً كثيرة، لكني اختصرت وحذفت الأسانيد للاختصار"<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: الحجاج في اللغة والاصطلاح:

#### - الحجاج لغة:

يشكل التعريف اللغوي للمصطلحات مقدمة رئيسة لفهمها والاستقلال بدركها، ومن هذه المصطلحات الحجاج، قال ابن منظور: "حججته؛ أي: غلبته بالحجج التي أدليت بها"<sup>(٢)</sup>، وجملة (غلبته) مكونة من ثلاثة أركان للحجاج: المخاطب (بالحجة)، وقد دل عليه تاء الفاعل، والمخاطب (المدع أو المستسلم) ودل عليه الهاء، ولا يقوم هذان الركنان إلا ببرهان

(١) اللالكائي، أبو القاسم هبة الله: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق:

أحمد بن سعد، ط٨، السعودية، دار طيبة، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م، ٣٤٤/٢.

(٢) ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب، ط٥، بيروت، دار صادر، ٢٠٠٥م، مادة

"حجج".

أو دليل، وهذا ما يشير إليه قوله: بالحجج التي أدليت بها، وعليه لا يقوم حجج (إقناع) من غير ركن من هذه الأركان، وقد يُستعمل الدليل بمعنى الحجة، قال الجرجاني: "الحجة ما دل به على صحة الدعوى، وقيل الحجة والدليل واحد"<sup>(١)</sup>. وتكون الحجة وسيلة للغلبة، ولذا اقترنت الوسيلة بالغاية في الدلالة المعجمية؛ فقال الفيروزآبادي: "والحج القصد والغلبة بالحجة"<sup>(٢)</sup>، وقد عبّر عن الغلبة بالظفر؛ فقال ابن فارس: "حاجبت فلانا فحججته؛ أي: غلبته بالحجة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة"<sup>(٣)</sup>، وأشار ابن منظور إلى فراسة الخصم وقدرته على نزع الحجة وسلبها من خصمه، فقال: "وحاجه محاجة وحاجا نزعه الحجة"<sup>(٤)</sup>؛ أي: سلبها منه لصالحه، بما لديه من بلاغة الإقناع، ولذا "وصفت الحجة بالبلاغة، فقال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، ووصفت بالدحوض، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: ١٦]، ومن ثم فهي على نوعين باعتبار الحق والباطل: الحجة العقلية البالغة؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩]، والاحتياالية الداحضة؛ كما في قول إبليس: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾، وهذه من

(١) الجرجاني، علي بن محمد: كتاب التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ، ٨٢.

(٢) الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، ٨، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ١٨٣.

(٣) ابن فارس، أبو الحسين أحمد: مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٢م، ٢٤/٢.

(٤) ابن منظور: لسان العرب، مادة "حجج".

الجدال المذموم الذي قال الله عنه: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾<sup>(١)</sup>.

#### - الحجاج اصطلاحاً:

عندما نتأمل التعريفات الاصطلاحية للحجاج في حقل بلاغة الحجاج نجدها تجتمع على غاية واحدة؛ وهي أن الحجاج هو مجموعة من التقنيات الحجاجية، والوسائل البلاغية، والروابط اللغوية المؤدية إلى القدرة على الإذعان والتسليم، ومن ثم سافرت أقلام الباحثين في رصد ما تنفقر إليه هذه الغاية من روابط، وتقنيات، ووسائل حجاجية، وعلى المحتج أن "يدرس تقنيات الحجاج التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في حالة ذلك التسليم"<sup>(٢)</sup>. وهذا يفضي بنا إلى القول بأن هذا التعريف لا يخرج عن الدلالة المعجمية للحجة؛ لأن التقنيات الحجاجية هي ما تشتمل عليه الدلائل والبراهين من وسائل بلاغية أو لغوية؛ لحمل المتلقي على الإذعان والتسليم.

#### - الحجاج وعلاقته بالبلاغة:

ليست البلاغة بمنأى عن الغاية الإقناعية في الخطاب الأدبي بشتى أنواعه؛ لأنها منعقدة على "وصول المعنى إلى قلب السامع فيفهمه"<sup>(٣)</sup>، وهذه

(١) السعيدى، ناصر بن دخيل: الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي دراسة وصفية، رسالة دكتوراة، أم القرى، السعودية، ١٤٢٦هـ، ٤، بتصرف.

(٢) صولة، عبد الله: الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة لبرلمان وتتيكاه، ضمن فريق البحث في البلاغة والحجاج: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، المطبعة الرسمية، تونس، دت، ٢٩٩.

(٣) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل، ط٢، دار الفكر العربي، د.ت، ١٦.

الغاية تفتقر إلى مجموعة من الوسائل التي تساعد البليغ على الإقناع، ومن أبصر الحجة فقد بلغ في قلب السامع مبلغا لا يجد معه سوى الإذعان والتسليم، ومن ثم "فجماع البلاغة البصر بالحجة...، ومن أدق معانيها أنها اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة...؛ منها ما يكون في الاحتجاج"<sup>(١)</sup>، كالتمثيل البلاغي وما تضمنه من الحجاج فـ "برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبلغ"<sup>(٢)</sup>، وفي ذلك بيان لما يتطلبه الحجاج من وضوح البرهان، وغلبته على عقل الخصم، وبلوغه للقلب؛ وقد نوعت البلاغة في وسائنها الإقناعية؛ فالصورة التشبيهية تنجح إلى القياس والتمثيل الحجاجي؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]، فقد احتج بالتمثيل على المعنى للإقناع؛ فتضمنت الآية تشبيه الحياة الدنيا التي تملأ الأعين برونقها، وتجتلب النفوس ببهجتها، وتحمل أهلها على عشق جمالها الظاهري، وتكالبهم على التمتع بها، وتهاقتم على ما تشتهي أنفسهم، ثم سرعان ما تزول وتنقضي بحال النبات في زوال رونقه، وذهاب بهجته، وسرعة انقضائه بعد أن كان غضا طريا؛ تعانقت أغصانه، وزهت أوراقه، وتلألأت أنواره، فإذا ما جمعنا بين طرفي التشبيه حصلنا على (المعنى المنتج) المنتزع، وهو أشياء يحصل بها السرور وقتا، ثم سرعان ما

(١) الجاحظ: عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٧، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٨م، ٨٨/١، ١١٥ /١، ١١٦. بتصرف.

(٢) الجرجاني، عبد القاهر: أسرار البلاغة، تحقيق: محمود شاكر، القاهرة، الخانجي،

تزول وتتقضي؛ أي: قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر<sup>(١)</sup>، وفي الكناية يحتج المبدع على المعنى بالتلازم العقلي، وما يشتمل عليه من التدرج الحجاجي في بناء المعنى الكنائي، "قال ابن الأعرابي: تقول العرب: فلان جبان الكلب إذا كان نهاية في السخاء"<sup>(٢)</sup>، وهذا يستدعي سؤالاً يفترق جوابه إلى الاحتجاج؛ وهو كيف يكون قولهم: "جبان الكلب" كناية عن المدح بالكرم، ومفردات التركيب ذم؟ إن جبن الكلب يستلزم إلف الضيفان، والإلف يستلزم الأنس بهم، والأنس يستلزم المداومة، وبذلك نحتج على أن المعنى المراد هو الكرم. ويجد المحتج بالتورية مخرجا إقناعيا في التصديق على ما يريد، ومثال ذلك أن "أبا طلحة - رضي الله عنه - سأل زوجته أم سليم رضي الله عنها: كيف الغلام، قالت: قد هدأت نفسه، وأرجو أن يكون قد استراح، وظن أبو طلحة أنها صديقة"<sup>(٣)</sup>، فورّت عن موته بالنوم (هدأت نفسه)، حتى لا تعجل بما يسوء زوجها من ذكر وفاة ابنه؛ فضلا عن الاستسلام لقضاء الله وقدره، ولا يخرج الاحتجاج العقلي عند البلاغيين عن أربعة حجج: الحجة التمثيلية، والتعليلية، والنقلية، والتأملية<sup>(٤)</sup>. والحجة النقلية تتضمن اقتباسا من القرآن أو السنة يعزز من الإقناع، ومن ذلك أن "سائلا قال لبعض العلماء: أين تجد في كتاب الله تعالى قولهم: الجار قبل الدار؟ قال في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ

(١) حسام، محمود عبد الله: فن التشبيه بين النظرية والتطبيق، ط ١، ١٤٢٠هـ، ١٥٠.

(٢) ابن منظور: لسان العرب: ٧١/٣، مادة: (جبن).

(٣) رواه البخاري: باب من لم يظهر حزنه عند المصيبة، ٢٠١/٣. ينظر: الشريم،

إبراهيم بن محمد: تسليية المصاب عند فقد الأقربين والأصحاب، دار ابن الأثير،

الرياض، د.ت، ١/ ٢٦.

(٤) ينظر: السعيد: الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي، ٨٥.

رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْنًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿التحرير: ١١﴾، فطلبت الجار قبل الدار<sup>(١)</sup>. ولا سبيل إلى الاستقلال بدرك الحجة التأملية إلا بالبصيرة النافذة والقريحة العامرة. وتعد دراسة الحجاج البلاغي في المناظرات العقائدية من أهم أسباب تحرر البلاغة من التطويع العقائدي الذي غلب على كثير من البلاغيين وعلى رأسهم الزمخشري؛ لأن الذين أقحموا قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، في التورية والكنائية، فزعموا أن المراد هو الاستيلاء دون العلو يُحْتَجُّ عليهم بأن الاستيلاء يستلزم منازعة، والمنازعة تستلزم مضادة، ولا مضادة بين الخالق والمخلوق، فلا يقال استولى على الشيء حتى يكون له فيه مضاد، فأيهما غلب، قيل: استولى، والله تعالى لا مضاد له، وهو على عرشه كما أخبر... فالاستيلاء بعد المغالبة<sup>(٢)</sup>. كما أنه يلزم من الاستيلاء أن يكون في زمن دون زمن، قال الإمام عبد العزيز بن يحيى الكناني: "زعمت الجهمية أن معنى استوى (استولى) من قول العرب: استوى فلان على مصر، يريدون استولى عليها. قال: فيقال له: هل يكون خلق من خلق الله أتت عليه مدة ليس بمستول عليه؟ فإذا قال لا، قيل له: فمن زعم ذلك فهو كافر، فيقال له: يلزمك أن تقول: إن العرش أتت عليه مدة ليس الله بمستول عليه، وذلك لأنه أخبر أنه سبحانه خلق العرش قبل السماوات والأرض، ثم استولى عليه بعد خلقهن، فيلزمك أن تقول: المدة

(١) الحلبي، شهاب الدين محمود: حسن التوسل إلى صناعة التوسل، مصر، المطبعة الوهبية، ١٣٩٨هـ، ٧٢.

(٢) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر: اجتماع الجيوش الإسلامية، تحقيق: عواد عبد الله المعتق، ط ١، الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ٢٦٥.

التي كان العرش قبل خلق السماوات والأرض ليس الله بمستول عليه فيها، ثم ذكر كلاماً طويلاً في تقرير العلو والاحتجاج عليه<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: المناظرة: صورها، وموضوعها، وأطرافها:

عرف الجرجاني المناظرة، فقال: "هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشئيين إظهاراً للصواب"<sup>(٢)</sup>، وبالتأمل يتضح أن في هذا التعريف بياناً لأطراف المناظرة، وشرطها، وغايتها، وفرق الكفوي بين المناظرة والمجادلة، والمنازعة، والمكابرة، والمغالطة، والمناقضة، فقال: المناظرة هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشئيين إظهاراً للصواب، وقد يكون مع نفسه، والمجادلة: هي المنازعة في المسألة العلمية لإلزام الخصم، سواء كان كلامه في نفسه فاسداً أو لا، وإذا علم بفساد كلامه وصحة كلام خصمه فنازعه فهي المكابرة، ومع عدم العلم بكلامه وكلام صاحبه فنازعه فهي المعاندة. وأما المغالطة: فهو قياس مركب من مقدمات شبيهة بالحق، ويسمى سفسطة أو شبيهة بالمقدمات المشهورة ويسمى مشاغبة وأما المناقضة: فهي منع مقدمة معينة من الدليل إما قبل تمامه وإما بعده"<sup>(٣)</sup>.

وللمناظرة صورتان: الأولى: ذاتية؛ يحاور المرء فيها نفسه وينظرها بحجج السؤال والجواب الحوارية، فهي خطاب الذات للذات قصد الاقتناع بحجج ترجح أمراً عقدياً، أو عرفياً، أو اجتماعياً...، كقوله تعالى حكاية عن

(١) ابن قيم الجوزية: اجتماع الجيوش الإسلامية، ٢١٩.

(٢) الجرجاني: كتاب التعريفات، ٢٣٢.

(٣) الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨م، ٨٤٩.



إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَقْبَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفَلِينَ \* فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَقْبَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ \* فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ \* إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦]، فهذا من الحجاج الذاتي الذي يفضي إلى بلوغ الحق والإيمان دون مكابرة أو عناد، فعلم أن ربه لا يزول، ومن ثم قال: لا أحب الآفلين، ومن المناظرة الذاتية قول القائل (١):

رَبِّ يَبُولُ الثُّغْبَانُ بِرَأْسِهِ \* \* لَقَدْ ذَلَّ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ  
فَلَوْ كَانَ رَبًّا كَانَ يَمْنَعُ نَفْسَهُ \* \* فَلَا خَيْرَ فِي رَبِّ نَأْتُهُ الْمَطَالِبُ  
بَرِئْتُ مِنَ الْأَصْنَامِ فِي الْأَرْضِ \* \* وَأَمَنْتُ بِاللَّهِ الَّذِي هُوَ غَالِبُ

فاحتج بالبيت الأول على أن الله عزيز، والثاني على أن الله على كل شيء قدير، وبالتالي على وجوب التوحيد والبراءة من الشرك في حجج ذاتي يحاور المرء فيه نفسه. والثانية: أن تكون المناظرة متعدية بخطاب الذات للآخر؛ كأن تكون المناظرة بين شخصين، فيسأل أحدهما والآخر يجيب، فقد "سئل أعرابي: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: الْبَعْرَةُ تَدُلُّ عَلَى الْبَعِيرِ، وَالْأَنْثَى يَدُلُّ عَلَى الْمَسِيرِ، فَسَمَاءُ ذَاتُ أَبْرَاجٍ، وَأَرْضُ ذَاتُ فِجَاجٍ، وَبِحَارُ ذَاتُ أَمْوَاجٍ، أَلَا تَدُلُّ عَلَى السَّمِيعِ الْبَصِيرِ؟! بلى" (٢)، أو تكون بين شيئين؛ كالمناظرات الحوارية بين ثنائيات: (الماء والهواء)، (الشمس والقمر)، (العلم

(١) النيسابوري، أبو الفضل أحمد بن محمد: مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، لبنان، دار المعرفة، ١٩٥٥م، ١٨١/٢.  
(٢) العثيمين، محمد بن صالح: شرح العقيدة السفارينية، بيروت، الكتاب العالمي للنشر، ٢٠١٣م، ٢٨.

والجهل...<sup>(١)</sup>، أو تكون المناظرة حجاجا بين الأنبياء وأقوامهم<sup>(٢)</sup>، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ [آل عمران: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿لَمْ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ [آل عمران: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ [الأنعام: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً﴾ [الشورى: ١٦]، ثم يرث العلماء علم الأنبياء، وما اشتمل عليه من الحجج والبراهين الدالة على صدق دعواهم؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَم يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرِثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ فَمَنْ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ"<sup>(٣)</sup>؛ أي، تام.

ومما يعظم فيه الحجاج، مناظرة أهل الباطل بالعلم والإخلاص؛ طلبا للحق وجهادا فيه، وقد قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]؛ أي: "ترمي ونسلط، بِالْحَقِّ" بالإيمان، ﴿عَلَى الْبَاطِلِ﴾ على الكفر، وقيل: الحق قول الله، أنه لا ولد له، والباطل قولهم اتخذ الله ولدا، ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ فيهلكه، وأصل الدماغ: شج الرأس حتى يبلغ الدماغ، ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ ذاهب<sup>(٤)</sup>، بحجج أهل الحق والاتباع.

(١) ينظر: البيروتي، ابن البيطار الجزائري: المفارحات والمناظرات، تحقيق: محمد

حسان الطيان، ط١، دار البشائر الإسلامية، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٢م.

(٢) ينظر: عبد المطلب، محمد: الحوارات القرآنية قراءة حجاجية، ط١، طنطا، دار النابعة، ٢٠٢١م.

(٣) المباركفوري، عبيد الله الرحمانى: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ط٣، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، بنارس الهند، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، ٣١٨/١.

(٤) البغوي، الحسين بن مسعود: معالم التنزيل تفسير البغوي، محمد عبد الله النمر، وآخرون، دار طيبة، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م، ٣١٣/٥.

ولا يقل دور سلف هذه الأمة في الإقناع بقضايا الدين في جميع علومه عن دور غيرهم من المنتسبين للفلسفة والمنطق، بل إن الناظر في كتب السلف لا يعتريه شك في غلبة حجتهم على غيرهم، وضبط منهجهم في التقرير والإثبات والنفي لمن أراد الإنصاف، فغلب الحق هواه، وللمناظرات إسهام كبير في تقرير عقيدة الناس، ومن جملة هذه المناظرات مناظرة الأذرمي لابن أبي دؤاد المعتزلي في بدعة القول بخلق القرآن.

• المناظرة؛ موضوعها، ونصها، وأطرافها:

١- موضوعها:

يظل الناس في منحة ما داموا على السنة، فإذا تحولوا عنها أو أكرهوا فألزموا بمخالفتها، صارت المنحة محنة وابتلاء عظيما، ومن ذلك فتنة القول بخلق القرآن، حيث أظهرها المأمون وأكره الناس عليها، وكلما استطاع دعائها تمكين الشبهة من قلوب الخلفاء، ازداد الإلزام بها والإكراه عليها بزجر السلطان وسوطه، ومن ثم يزيد الابتلاء، ومن أبرز دعائها المقربين من الخلفاء آنذاك أحمد بن أبي دؤاد، وزير المأمون وجليسه الذي دفعه إلى حمل الناس وقهرهم على القول بخلق القرآن، فاشتدت الحاجة للمناظرات بين أهل الحق والباطل، حتى زهق الباطل واضمحل. ومن هذه المناظرات مناظرة عبد الله الأذرمي شيخ من أهل أذنة، لأحمد بن أبي دؤاد في بدعة القول بخلق القرآن.

٢- نص المناظرة مجال البحث:

وردت قصة المناظرة بين الأذرمي وأحمد بن أبي دؤاد مطولة ومختصرة في عدة مصادر؛ فذكرها الأجزئي في الشريعة مطولة<sup>(١)</sup>، وابن

(١) الأجزئي، أبو بكر محمد بن الحسين: الشريعة، تحقيق: عبد الله بن عمر، ط٣، دار

الوطن، الرياض، السعودية، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، ١/٥٤٠.

بطة في الإبانة الكبرى مع بعض الزيادات<sup>(١)</sup>، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد<sup>(٢)</sup>، وابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد<sup>(٣)</sup>، وأنت عند الذهبي في سير أعلام النبلاء مختصرة، وختمها بقوله: "هذه قصة مليحة، وإن كان في طريقها من يجهل ولها شاهد، كما جاءت مطولة؛ وختمها بأن الواثق قد تاب عن القول بخلق القرآن<sup>(٤)</sup>، وسوف تقف الدراسة على ما ذكره الأجرى لدقة ترابطها، مع الزيادات التي وردت في المصادر الأخرى. وقد اشتملت المناظرة على مراحل صحتها؛ فتعين محل النزاع في استهلالها، ثم عرض الحجج والبراهين للزوم المطلوب في أوسطها، وانقطع البحث وقامت الحجة في ختامها.

قال الأجرى: "حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرُ بْنُ إِدْرِيسَ الْقُرَوَيْنِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمُمْتَنِعِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْفَرَشِيُّ التَّمِيمِيُّ، قَالَ: أَنَا أَبُو الْفَضْلِ صَالِحُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ الْمَنْصُورِ الْهَاشِمِيِّ، وَكَانَ مِنْ وَجُوهِ بَنِي هَاشِمٍ، وَأَهْلِ الْجَلَالَةِ وَالشَّانِ مِنْهُمْ<sup>(٥)</sup>، قَالَ: حَضَرْتُ الْمُهْتَدِيَّ بِاللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ<sup>(٦)</sup>، وَقَدْ جَلَسَ يَنْظُرُ فِي أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فِي دَارِ الْعَامَّةِ، فَتَنَزَّرْتُ إِلَى قِصَصِ النَّاسِ تُقْرَأُ عَلَيْهِ مِنْ أَوْلِيهَا إِلَى آخِرِهَا فَيَأْمُرُ بِالتَّوْقِيعِ فِيهَا وَإِنْشَاءِ

(١) ابن بطة العكبري، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد: الإبانة الكبرى، تحقيق: رضا معطي، ط٢، دار الراية، الرياض، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م، ٢٦٩/٦.

(٢) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد: تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد، ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، ٢٧١/١١.

(٣) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن: مناقب الإمام أحمد، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط٢، دار هجر، ١٤٠٩هـ، ٤٣١، ٤٣٧.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣١٢/١١.

(٥) والسن منهم. ابن بطة: الإبانة الكبرى، ٢٧٠/٦.

(٦) رحمة الله عليه، الإبانة الكبرى، ٢٧٠/٦. البغدادي: تاريخ بغداد، ٢٧١/١١.

الْكُتُبِ لِأَصْحَابِهَا، وَيَخْتِمُ وَيَدْفَعُ إِلَى صَاحِبِهِ<sup>(١)</sup>، بَيْنَ يَدَيْهِ، فَسَرَّنِي ذَلِكَ، وَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَفَطِنَ وَنَظَرَ إِلَيَّ، فَغَضَضْتُ عَنْهُ حَتَّى كَانَ ذَلِكَ مِنِّي وَمِنْهُ مِرَارًا ثَلَاثًا، وَإِذَا نَظَرَ غَضَضْتُ، وَإِذَا اشْتَعَلَ نَظَرْتُ، فَقَالَ لِي: يَا صَالِحُ، فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَعُمْتُ قَائِمًا، فَقَالَ: فِي نَفْسِكَ مِنَّا شَيْءٌ يَجِبُ أَنْ تَقُولَهُ<sup>(٢)</sup>؟ أَوْ قَالَ: تُرِيدُ أَنْ تَقُولَهُ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، يَا سَيِّدِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ لِي: عُدْ إِلَى مَوْضِعِكَ، فَعُدْتُ، وَعَادَ فِي النَّظَرِ، حَتَّى إِذَا قَامَ، قَالَ لِلْحَاجِبِ: لَا يَبْرُحُ صَالِحُ، فَانصَرَفَ النَّاسُ ثُمَّ أَذِنَ لِي، وَقَدْ أَهَمَّتْنِي نَفْسِي<sup>(٣)</sup> فَدَخَلْتُ فَدَعَوْتُ لَهُ، فَقَالَ لِي: اجْلِسْ، فَجَلَسْتُ، فَقَالَ: يَا صَالِحُ، تَقُولُ لِي، مَا دَارَ فِي نَفْسِكَ، أَوْ أَقُولُ أَنَا: مَا دَارَ فِي نَفْسِي أَنَّهُ دَارَ فِي نَفْسِكَ؟ قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا تَعَزَّمُ عَلَيْهِ، وَمَا تَأْمُرُ بِهِ فَقَالَ: وَأَقُولُ: كَأَنِّي بِكَ وَقَدْ اسْتَحْسَنْتَ مَا رَأَيْتَ مِنَّا، فَقُلْتُ: أَيُّ خَلِيفَةِ خَلِيفَتُنَا، إِنْ لَمْ يَكُنْ يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؟ فَوَرَدَ عَلَيَّ قَلْبِي أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَأَهَمَّتْنِي نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ: يَا نَفْسُ، هَلْ تَمُوتِينَ إِلَّا مَرَّةً؟<sup>(٤)</sup> وَهَلْ تَمُوتِينَ قَبْلَ أَجْلِكَ؟ وَهَلْ يَجُورُ الْكَذِبُ فِي جَدِّ أَوْ هَزْلٍ؟ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَا دَارَ فِي نَفْسِي إِلَّا مَا قُلْتُ، ثُمَّ أَطْرَقَ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: وَيْحَكَ، اسْمَعْ مِنِّي مَا أَقُولُ، فَوَاللَّهِ لَتَسْمَعَنَّ مِنِّي الْحَقَّ<sup>(٥)</sup>، فَسَرَّرِي عَنِّي فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي وَمَنْ أَوْلَى بِقَوْلِ الْحَقِّ مِنْكَ، وَأَنْتَ

(١) وتختم وتدفع إلى صاحبه، الإبانة الكبرى، ٢٧٠/٦. يحرر ويختم، البغدادي: تاريخ بغداد، ٢٧١/١١.

(٢) تحب أن تقوله، الإبانة الكبرى، ٢٧٠/٦. تريد، أوتحب، أن تقوله، البغدادي: تاريخ بغداد، ٢٧١/١١.

(٣) وهمتني نفسي، الإبانة الكبرى، ٢٧٠/٦. البغدادي: تاريخ بغداد، ٢٧١/١١.

(٤) إلا مرة واحدة، الإبانة الكبرى، ٢٧٠/٦. إلا مرة، البغدادي: تاريخ بغداد، ٢٧١/١١. بغداد، ٢٧١/١١.

(٥) لتسمعن الحق،، الإبانة الكبرى، ٢٧٠/٦. البغدادي: تاريخ بغداد، ٢٧١/١١.

وَأَنْتَ خَلِيفَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَابْنُ عَمِّ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَقَالَ لِي: مَا زِلْتُ أَقُولُ: إِنَّ الْفُرَانَ مَخْلُوقٌ صَدْرًا مِنْ خِلَافَةِ الْوَائِقِ، حَتَّى أَقْدَمَ عَلَيْنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ شَيْخًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ مِنْ أَهْلِ أَذْنَةَ فَأَدْخَلَ الشَّيْخُ عَلَى الْوَائِقِ مُعَيَّدًا، وَهُوَ جَمِيلُ الْوَجْهِ تَامُ الْقَامَةِ، حَسَنُ الشَّيْبَةِ، فَرَأَيْتُ الْوَائِقَ قَدْ اسْتَحْيَى مِنْهُ، وَرَقَّ لَهُ، فَمَا زَالَ يُذْنِيهِ وَيُقَرِّبُهُ، حَتَّى قُرِبَ مِنْهُ، فَسَلَّمَ الشَّيْخُ فَأَحْسَنَ السَّلَامَ، وَدَعَا فَأَبْلَغَ الدُّعَاءَ، وَأَوْجَزَ<sup>(١)</sup>، فَقَالَ لَهُ الْوَائِقُ: اجْلِسْ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا شَيْخُ، نَاطِرِ ابْنَ أَبِي دُوَادٍ عَلَى مَا يُنَاطِرُكَ عَلَيْهِ، فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ابْنُ أَبِي دُوَادٍ يَقُلُّ وَيَضِيقُ، وَيَضْعُفُ عَنِ الْمُنَاطَرَةِ<sup>(٢)</sup> فَغَضِبَ الْوَائِقُ، وَعَادَ مَكَانَ الرَّأْفَةِ لَهُ غَضَبًا عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي دُوَادٍ يَصْبُو وَيَقُلُّ وَيَضْعُفُ عَنِ مُنَاطَرَتِكَ أَنْتَ؟! فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: هُوَ نَاطِرُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا بِكَ، وَأَذْنُ لِي فِي مُنَاطَرَتِهِ، فَقَالَ الْوَائِقُ: مَا دَعَوْتُكَ إِلَّا لِلْمُنَاطَرَةِ. فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ<sup>(٣)</sup>، إِلَيَّ مَا دَعَوْتَ النَّاسَ وَدَعَوْتَنِي إِلَيْهِ؟ فَقَالَ: إِلَيَّ أَنْ تَقُولَ: الْفُرَانَ مَخْلُوقٌ؛ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ دُونَ اللَّهِ مَخْلُوقٌ. فَقَالَ الشَّيْخُ: إِنْ رَأَيْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَحْفَظَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِ مَا نَقُولُ، قَالَ: أَفْعَلُ، قَالَ الشَّيْخُ: أَخْبِرْنِي يَا أَحْمَدُ عَنْ مَقَالَتِكَ هَذِهِ، أَوْاجِبَةٌ دَاخِلَةٌ فِي عَقْدِ الدِّينِ<sup>(٤)</sup>، فَلَا يَكُونُ الدِّينُ كَامِلًا حَتَّى يُقَالَ فِيهِ مَا قُلْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ الشَّيْخُ: يَا أَحْمَدُ أَخْبِرْنِي عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) ودعا فأبلغ وأوجز، الإبانة الكبرى، ٦/٢٧٠. ودعا فبلغ وأوجز، البغدادي: تاريخ بغداد، ١١/٢٧١.

(٢) يقل ويضعف...، الإبانة الكبرى، ٦/٢٧٠. يصبو ويضعف...، البغدادي: تاريخ بغداد، ١١/٢٧١.

(٣) يا أحمد فقط، الإبانة الكبرى، ٦/٢٧٠. البغدادي: تاريخ بغداد، ١١/٢٧١.

(٤) واجبة داخله في عقدة الدين، الإبانة الكبرى، ٦/٢٧٠.

وَسَلَّمَ حِينَ بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى عِبَادِهِ، هَلْ سَتَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِي دِينِهِ؟ قَالَ: لَا قَالَ الشَّيْخُ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأُمَّةَ إِلَى مَقَالَتِكَ هَذِهِ؟ فَسَكَتَ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ فَقَالَ الشَّيْخُ: تَكَلَّمْ فَسَكَتَ، فَالْتَقَتِ الشَّيْخُ إِلَى الْوَائِقِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَاحِدَةً فَقَالَ الْوَائِقُ: وَاحِدَةً، فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا أَحْمَدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، حِينَ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] أَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى الصَّادِقُ فِي إِكْمَالِ دِينِهِ، أَمْ أَنْتَ الصَّادِقُ فِي نُقْصَانِهِ، فَلَا يَكُونُ الدِّينُ كَامِلًا حَتَّى يُقَالَ فِيهِ بِمَقَالَتِكَ هَذِهِ؟ فَسَكَتَ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ فَقَالَ الشَّيْخُ: أَجِبْ يَا أَحْمَدُ، فَلَمْ يُجِبْهُ، فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اثْنَتَانِ، فَقَالَ الْوَائِقُ: اثْنَتَانِ، فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا أَحْمَدُ أَخْبِرْنِي عَنْ مَقَالَتِكَ هَذِهِ، أَعْلَمَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْ جَهْلَهَا؟ قَالَ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ: عَلِمَهَا قَالَ الشَّيْخُ: فَدَعَا النَّاسَ إِلَيْهَا؟ فَسَكَتَ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ثَلَاثٌ فَقَالَ الْوَائِقُ: ثَلَاثٌ، فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا أَحْمَدُ، فَانْسَعِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ عَلِمَهَا كَمَا زَعِمْتَ، وَلَمْ يُطَالِبْ أُمَّتَهُ بِهَا؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ الشَّيْخُ: وَانْسَعِ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ<sup>(١)</sup> رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟ فَقَالَ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ: نَعَمْ فَأَعْرَضَ الشَّيْخُ عَنْهُ، وَأُقْبِلَ عَلَى الْوَائِقِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ قَدَّمْتُ لَكَ الْقَوْلَ<sup>(٢)</sup> أَنَّ أَحْمَدَ يَصْبُو وَيَقِيلُ وَيَضْغُفُ عَنِ الْمُنَاطَرَةِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ لَمْ يَنْسَعِ لَكَ الْإِمْسَاكُ<sup>(٣)</sup> عَنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ، مَا

(١) لأبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، الإبانة الكبرى، ٢٧٠/٦. البغدادي: تاريخ بغداد، ٢٧١/١١.

(٢) قد قدمت القول، الإبانة الكبرى، ٢٧٠/٦. البغدادي: تاريخ بغداد، ٢٧١/١١.

(٣) من الإمساك عن هذه المقالة، الإبانة الكبرى، ٢٧٠/٦.

اتَّسَعَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَلَا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَى مَنْ لَمْ يَتَّسِعْ لَهُ مَا اتَّسَعَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ الْوَائِقُ: نَعَمْ إِنْ لَمْ يَتَّسِعْ لَنَا مِنَ الْإِمْسَاكِ عَنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ مَا اتَّسَعَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَلَا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْنَا<sup>(١)</sup>، افْطَعُوا قَيْدَ الشَّيْخِ، فَلَمَّا فُطِحَ ضَرْبَ الشَّيْخِ بِيَدِهِ إِلَى الْقَيْدِ لِيَأْخُذَهُ فَجَادَبَهُ الْحَدَّادُ عَلَيْهِ، فَقَالَ الْوَائِقُ: دَعِ الشَّيْخَ لِيَأْخُذَهُ، فَأَخَذَهُ الشَّيْخُ فَوَضَعَهُ فِي كُمَّهِ، فَقَالَ الْوَائِقُ: لِمَ جَادَبْتِ عَلَيْهِ؟ قَالَ الشَّيْخُ: لِأَنِّي نَوَيْتُ أَنْ أَتَقَدَّمَ إِلَى مَنْ أَوْصِي إِلَيْهِ إِذَا مِتُّ أَنْ يَجْعَلَهُ بَيْنِي وَبَيْنَ كَفَنِي، حَتَّى أَخَاصِمَ بِهِ هَذَا الظَّالِمَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، سَلْ عَبْدَكَ هَذَا لِمَ قَيْدَنِي وَرَوَّعَ أَهْلِي، وَوَلَدِي، وَإِخْوَانِي بِلَا حَقٍّ وَأَوْجَبَ ذَلِكَ عَلَيَّ؟ وَبَكَى الشَّيْخُ فَبَكَى الْوَائِقُ وَبَكَينَا، ثُمَّ سَأَلَهُ الْوَائِقُ أَنْ يَجْعَلَهُ فِي حِلِّ وَسْعَةٍ مِمَّا نَالَهُ، فَقَالَ الشَّيْخُ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَقَدْ جَعَلْتُكَ فِي حِلِّ وَسْعَةٍ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ إِكْرَامًا لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، إِذْ كُنْتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِهِ فَقَالَ الْوَائِقُ: لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ فَقَالَ الشَّيْخُ: إِنْ كَانَتْ مُمَكِّنَةً فَعَلْتُ فَقَالَ الْوَائِقُ: تُقِيمُ فِينَا فَيَنْتَفِعَ بِكَ فَنِيَانِنَا، فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ رَدَّكَ إِيَّايَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي أَخْرَجَنِي مِنْهُ هَذَا الظَّالِمُ أَنْفَعُ لَكَ مِنْ مَقَامِي عَلَيْكَ، وَأَلْخَبِرُكَ بِمَا فِي ذَلِكَ: أَصِيرُ إِلَى أَهْلِي وَوَلَدِي وَأَكْفُ دُعَاءَهُمْ عَلَيْكَ، فَقَدْ خَلَّفْتُهُمْ عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ الْوَائِقُ: فَتَقَبَّلْ مِنَّا صِلَةً مَا تَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى دَهْرِكَ فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَحِلُّ لِي، أَنَا عَنْهَا غَنِيٌّ، وَدُوَ مَرَّةٍ سَوِيٍّ قَالَ: فَسَلْ حَاجَتَكَ قَالَ: أَوْ تَقْضِيهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَخَلَّ سَبِيلِي إِلَى النَّعْرِ السَّاعَةِ، وَتَأَذَّنْ لِي قَالَ: قَدْ أَذِنْتُ لَكَ،

(١) فقال الواثق: نعم إن لم يتسع لنا من الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله -

صلى الله عليه وسلم - فلا وسع الله علينا. الإبانة الكبرى، ٦/ ٢٧٠.



فَسَلَّمَ الشَّيْخُ، وَخَرَجَ قَالَ صَالِحٌ: قَالَ الْمُهْتَدِي بِاللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ: فَرَجَعْتُ عَنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ مُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَأَطْنُ الْوَائِقَ بِاللَّهِ كَانَ رَجَعَ عَنْهَا مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ (١).

قال ابن بطة: "بَابُ ذِكْرِ مُنَاطَرَةِ هَذَا الشَّيْخِ بِحَضْرَةِ الْوَائِقِ نَقْلُهَا مِنْ كُتُبِ بَعْضِ شُيُوخِ بَلَدِنَا، وَكُتِبَتْهَا مِنْ أَصْلِ كِتَابِهِ، وَهِيَ أَتَمُّ مِنْ هَذِهِ وَأَشْبَعُ فِي حِجَاجِهَا، فَأَعَدْتُهَا لِمَوْضِعِ الزِّيَادَةِ: قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ رَأَيْتُ فِي كُتُبِ بَعْضِ شُيُوخِنَا بِحَطِّهِ: ... ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ: يَا أَحْمَدُ الْكَلِمَةُ الَّتِي يُكُونُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا الْأَشْيَاءَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهَا؟ فَسَكَتَ أَحْمَدُ، فَقَالَ الشَّيْخُ: ثَلَاثٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ: يَا أَحْمَدُ أَخْبِرْنِي حَيْثُ كَانَ اللَّهُ فِي وَحْدَانِيَّتِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ كَانَ تَامًّا أَوْ نَاقِصًا؟ قَالَ: بَلْ تَامًّا. قَالَ: فَكَيْفَ يَكُونُ تَامًّا مَنْ لَا كَلَامَ لَهُ، فَسَكَتَ أَحْمَدُ. فَقَالَ: أَرِيعَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ الشَّيْخُ: يَا أَحْمَدُ أَكَانَ اللَّهُ عَالِمًا تَامَ الْعِلْمِ، أَمْ كَانَ جَاهِلًا؟ فَسَكَتَ أَحْمَدُ: فَقَالَ: حَمْسٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ: يَا أَحْمَدُ، قَوْلُهُ: «وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي» [السجدة: ١٣] الْكَلِمَةُ مِنْهُ أَمْ خَلَقَهَا مِنْ غَيْرِهِ؟ فَأَمْسَكَ أَحْمَدُ، فَقَالَ: سِتٌّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ "وَذَكَرَ مِنَ الْقِصَّةِ فِي الْقَبْدِ وَغَيْرِهَا شَبِيهَا بِمَا مَضَى فِي الْخَبَرِ الْأَوَّلِ وَزَادَ فِيهِ" قَالَ الْوَائِقُ: يَا شَيْخُ زِدْ أَحْمَدَ مِنْ هَذِهِ الْحُجَجِ لَعَلَّهُ يَرْجِعُ عَنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ. قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْكُمْ نَزَلَ الْعِلْمُ، وَمِنْكُمْ افْتَبَسْنَاهُ. ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ: يَا أَحْمَدُ قَدْ عَلِمْنَا وَعَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ» [المائدة: ٦٧]، أَلَيْسَ مَا أُنزِلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَهَلْ تَقْدِرُ أَنْ تَقُولَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) الأجرى: الشريعة، ٥٤٠/١، وما بعدها.

وَسَلَّمَ بَلَّغْنَا هَذَا الَّذِي تَدْعُونَا إِلَيْهِ؟ أَمْ هَذِهِ الْمَقَالَةُ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ حَتَّى نَتَابَعَكَ عَلَيْهَا، وَإِنْ قُلْتَ: إِنَّهُ لَمْ يُبَلِّغْنَا، فَقَدْ نَسَبْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّقْصِيرِ فِي أَمْرِ اللَّهِ، وَأَنْتَ كَتَمْتَ أَمْرًا أَمَرَهُ اللَّهُ إِبْلَاغَنَا إِيَّاهُ، فَسَكَتَ أَحْمَدُ فَلَمْ يُجِبْهُ بِشَيْءٍ. قَالَ الشَّيْخُ: يَا أَحْمَدُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا مُوسَى إِنَّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤]، أَفَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مَخْلُوقًا؟ فَسَكَتَ أَحْمَدُ. قَالَ الْوَائِقُ: يَا شَيْخُ سَلَّنِي حَاجَةً قَالَ: حَاجَتِي أَنْ تَرُدَّنِي السَّاعَةَ إِلَى مَنْزِلِي الَّذِي أُخْرِجْتُ عَنْهُ، فَأَمَرَ بِرَدِّهِ مُكْرَمًا. قَالَ صَالِحٌ: فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُهْتَدِي بِاللَّهِ: فَرَجَعْتُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَنْ تِلْكَ الْمَقَالَةِ، وَرَجَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْوَائِقُ، وَلَمْ نَسْمَعْهُ يُنَاطِرُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ الْقَوْلِ حَتَّى مَاتَ" (١).

### ٣- أطرافها:

تضمن الخطاب الحجاجي في المناظرة الخليفة الواثق بالله، والأذرعي، وأحمد بن أبي دؤاد وزير الخليفة وجليسه.

#### أ- الخليفة الواثق بالله (ت ٢٣٢هـ)

الواثق بالله هارون، أبو جعفر - وقيل: أبو القاسم - ابن المعتصم بن الرشيد. أمه أم ولد رومية، اسمها قراطيس<sup>(٢)</sup>، "ولد ١٩٦هـ، وولي الأمر بعهد من أبيه في سنة ٢٢٧هـ، قال الخطيب: استولى أحمد بن أبي داود على الواثق، وحمله على التشدد في المحنة، والدعاء إلى خلق القرآن، وكان إذا رغب في قتل رجل أحضر جلساءه لمناظرته، وفي سنة إحدى وثلاثين قتل أحمد بن نصر الخزاعي الشهيد ظلما، وأمر بامتحان الأئمة، والمؤذنين

(١) ابن بطة العكبري: الإبانة الكبرى، ٦/٢٧٥.

(٢) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، ط١،

مكتبة نزار مصطفى، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، ٢٤٨.

بخلق القرآن، واستنكف من أسر الروم أربعة آلاف، وست مائة نفس، فقال ابن أبي دؤاد: من لم يقل: القرآن مخلوق فلا تفتكوه، وكانت خلافته خمس سنين، ونصفاً مات بسامرا لست بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين، ومائتين وبأيعوا بعده أخاه المتوكل، وأخبر المهتدي بالله: أن الواثق مات، وقد تاب عن القول بخلق القرآن" (١).

### ب- أبو عبد الرحمن الأذرمي:

الإمام الحجّة، والمحدث؛ "أبو عبد الرحمن عَبْدُ اللَّهِ بن محمد بن إسحاق الأذرمي" (٢)؛ بقصر الهمزة وسكون الذال وفتح الراء، وليس الأذرمي "بمد الألف وفتح الذال المعجمة، وسكون الراء" (٣)، من أدنّة؛ وهي من مشاهير البلدان بساحل الشام عند طرسوس (٤)، أثنى عليه النسائي، فقال: "عبد الله بن محمد بن إسحاق الأذرمي ثقة" (٥)، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال مسلمة في كتاب الصلاة: لا بأس به (٦)، وسمع من أكابر العلماء؛ مثل:

- (١) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ٨ / ٣٩٢: ٣٩٦.
- (٢) الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، ١١ / ٣٦١.
- (٣) الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ١٣٢، بتصرف.
- (٤) ابن الأثير، أبو الحسن: اللباب في تهذيب الأنساب، بيروت، دار صادر، ٣٩/١، ٥٦. بتصرف.
- (٥) السمعاني، أبو سعد عبد الكريم محمد: الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى وغيره، ط١، حيدر آباد، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٢هـ، ١٩٦٢م، ١ / ٧٣.
- (٦) العسقلاني، أحمد بن حجر: تهذيب التهذيب، الهند، دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٦هـ، ٥/٦.

سفيان بن عيينة، وعُندَر، هُشَيْم بن بَشِير، وإسماعيل بن عُليَّة وغيرهم، وروى عنه أبو حاتم الرازي، وقال: كَانَ ثقةً، وأبو داود السجستاني وابنه، وغيرهم. وقد كَانَ الوثائق استحضر رجلا من أهل أدنة للمحنة، فناظر ابن أبي دؤاد بحضرته، فظهر على ابن أبي دؤاد، فيقال: إنه هَذَا الرجل<sup>(١)</sup>، وذهب إلى ذلك الشيرازي، فقال: هذا الأذني هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد بن إسحاق الأذرمي<sup>(٢)</sup>. بلغت مناظرته لابن أبي دؤاد في بدعة القول بخلق القرآن مبلغا عظيما من الشهرة عند العلماء، فيها انكشفت المحنة، وتاب من تاب، وسقط ابن أبي دؤاد من عين الوثائق، فضاق قدره بعدما كان ذا منزلة رفيعة وشبهة من الوثائق منيعة، ومع عظيم قدره لم يحظ بتاريخ وفاة الأذرمي بعناية بعض من ترجموا له في الكتب الستة والوفيات.

#### ج- أحمد بن أبي دؤاد (ت ٢٤٠هـ):

قال الذهبي: القاضي الكبير، أبو عبد الله أحمد بن فرج بن حريز الإيادي، البصري، ثم البغدادي، الجهمي، عدو أحمد بن حنبل؛ كان داعية إلى خلق القرآن، له كرم وسخاء، وأدب وافر ومكارم، ولد سنة ستين ومائة بالبصرة<sup>(٣)</sup>، وكان مقدما، مسموع الكلمة عند المأمون، ثم المعتصم، ثم الوثائق، ثم المتوكل، فكان المعتصم من أكثرهم تقريبا له، قال الحسين بن الضحاك الشاعر لبعض المتكلمين: ابن أبي دؤاد عندنا لا يعرف اللغة، وعندكم لا يحسن الكلام، وعند الفقهاء لا يعرف الفقه، وهو عند المعتصم يعرف هذا كله، وقال بعضهم: "ما رأيت قط أطوع لأحد من المعتصم لابن أبي دؤاد، وكان يسأل الشيء فيمتنع منه، ثم يدخل ابن أبي دؤاد فيكلمه في أهله، وفي أهل الثغور، وفي الحرمين، وفي أقاصي أهل المشرق والمغرب،

(١) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ١١ / ٣٦١.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١١ / ٣١٦.

(٣) نفسه، ١١ / ١٦٩.

فيجيبه إلى كل ما يريد، وكان أعظم ما يريده هو محبة المحنة التي أسقطه الله بها على أيدي العلماء حتى هلك، ولولا ما وضع به نفسه من محبة المحنة لاجتمعت الألسن عليه، ولم يضاف إلي كرمه كرم أحد<sup>(١)</sup>، واشتهر بحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن<sup>(٢)</sup>، حتى ولي المتوكل؛ "فأظهر الله عز وجل به السنة، ومحا البدع، وكشف تلك الغمة"<sup>(٣)</sup>، وفلج ابن أبي دؤاد في أيام المتوكل؛ وعزل، وصودر، وأخذ منه مال جزيل، وتوفي سنة أربعين ومائتين عن ثمانين سنة<sup>(٤)</sup>. وقد هجاه أبو الحجاج الأعرابي، فقال: [الوافر]

نَكَسَتْ الدِّينَ يَا ابْنَ أَبِي دَوَادٍ \* \* فَأَصْبَحَ مَنْ أَطَاعَكَ فِي ارْتِدَادِ  
زَعَمْتَ كَلَامَ رَبِّكَ كَمَا خَلَقْنَا \* \* أَمَا لَكَ عِنْدَ رَبِّكَ مِنْ مَعَادٍ؟  
كَلَامَ اللَّهِ أَنْزَلَهُ بِعِلْمٍ \* \* وَأَنْزَلَهُ عَلَى خَيْرِ الْعِبَادِ  
وَمَنْ أَمْسَى بِبَابِكَ مُسْتَضِيفًا \* \* كَمَنْ حَلَّ الْفَلَاةَ بِغَيْرِ زَادٍ  
لَقَدْ أَطْرَفْتَ يَا ابْنَ أَبِي دَوَادٍ \* \* بِقَوْلِكَ إِنِّي رَجُلٌ إِيَادِي<sup>(٥)</sup>

قال: زعمت كلام ربك كان خلقا، ومعلوم أن الزعم على غير بينة، ولذا أردفه بالرد عليه، فقال: كلام الله أنزله بعلم على خير العباد، وجعل المحتج بزعم ابن أبي دؤاد يهلك كمن أقام بصحراء لا زاد فيها. وهذا قريب من قول الشاعر:

(١) بامخرمة، أبو محمد الطيب بن عبد الله: قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، غني به: بو جمعة مكري، خالد زواري، ط١، دار المنهاج، جدة، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٨م، ٥٠١/٢، ٥٠٢.

(٢) الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت: تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، ٢٣٣.

(٣) ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد، ٤٨٢.

(٤) علي بامخرمة: قلادة النحر، ٥٠١/٢.

(٥) نفسه، ٢٣٣.

المُسْتَجِيرُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كَرْبَتِهِ \* \* كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ  
فالممتحن في كربة شديدة، والمتبع لابن أبي دؤاد في كربة أشد؛  
كحال المستجير من الرمضاء بالنار. وقد امتدحه بعض الشعراء فقال:  
رَسُولُ اللَّهِ وَالْخُلَفَاءُ مِنَّا \* \* وَمِنَّا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُؤَادٍ  
فرد عليه آخر<sup>(١)</sup>: [الوافر]

فَقُلْ لِلْفَاخِرِينَ عَلَى نِزَارٍ \* \* وَهُمْ فِي الْأَرْضِ سَادَاتُ الْعِبَادِ  
رَسُولُ اللَّهِ وَالْخُلَفَاءُ مِنَّا \* \* وَنَبْرًا مِنْ دَعِيٍّ بَنِي إِيَادِ  
وَمَا مِنَّا إِيَادٌ إِذْ أَقَرَّتْ \* \* بِدَعْوَةِ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دُؤَادِ

• إعادة تشكيل أطراف المناظرة:

مرت هذه المناظرة بمرحلتين في تشكيل أطراف الحوار الحجاجي  
على النحو التالي:

		الاستهلال في المناظرة			
أحمد بن أبي دؤاد (المناظر). الخليفة الواصل بالله (المناظر).	١	الأذرمي (المناظر)	١	التشكيل الأول لأطراف المناظرة:	
	٢				
		النص والختام في المناظرة			
أحمد بن أبي دؤاد (المناظر).	١	الأذرمي (المناظر).	١	التشكيل الثاني لأطراف المناظرة:	
		الخليفة الواصل بالله (المناظر)	٢		

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، القاهرة، دار الفكر،

يمثل الأذرمي الطرف الأول (المنظر)، وأحمد بن أبي دؤاد، والخليفة الواثق بالله الطرف الثاني (المنظر)، قال الخليفة: يَا شَيْخُ، نَاطِرِ ابْنَ أَبِي دُوَادٍ عَلَى مَا يُنَاطِرُكَ عَلَيْهِ، ثم استطاع الأذرمي أن يعيد تشكيل أطراف المناظرة مرة أخرى بوسيلتين: الأولى تهدف إلى جعل الخليفة الواثق حلقة مهمة في الإقرار الحجاجي بين الأذرمي وأحمد بن أبي دؤاد، حتى لا يحيد، فقال: إِنْ رَأَيْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَحْفَظَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِ مَا نَقُولُ، قَالَ: أَفْعَلُ. والثانية تهدف إلى طلب الاستشهاد به في عدد الإلزامات الحجاجية المرتبة، كما في قوله: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَاحِدَةً. فَقَالَ الْوَاقِثُ: وَاحِدَةً... يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اثْنَتَانِ، فَقَالَ الْوَاقِثُ: اثْنَتَانِ... يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ثَلَاثَ، فَقَالَ الْوَاقِثُ: ثَلَاثَ...، أي من الإلزامات بالحجة، وبذلك استطاع الأذرمي أن ينقل الخليفة الواثق من طرف أحمد بن أبي دؤاد في التشكيل الأول إلى طرفه في التشكيل الثاني؛ ليكون ذلك عوناً له على الإقناع في السياق الحوارية للمناظرة، بل إن حجج الأذرمي قد دفعت الخليفة الواثق لطلب الاستزادة منها، فقال: يَا شَيْخُ زِدْ أَحْمَدَ مِنْ هَذِهِ الْحَجَجِ لَعَلَّهُ يَرْجِعُ عَنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ.

#### رابعاً: الوسائل البلاغية للحجاج في المناظرة:

لا يخلو الخطاب الحجاجي من الوسائل البلاغية التي تعضد من الإقناع والتسليم، بما يريد المخاطب أن يصل به إلى قلوب المتلقين، وذلك لأن البلاغة لا تقتصر على مجرد وصول المعنى فحسب؛ وإنما تتجاوز ذلك إلى تمكينه في عقل السامع ونفسه إقناعاً وإمتاعاً، وقد اشتملت مناظرة الأذرمي لأحمد بن أبي دؤاد في بدعة القول بخلق القرآن على مجموعة من الوسائل البلاغية التي يمكن بيانها على النحو التالي:

## ١ - الاستهلال وأدواره الحجاجية في المناظرة:

تعد براعة الاستهلال من أهم الوسائل البلاغية في الحجاج؛ لأنها "أول ما يقرع السمع؛ فهي رائد ما بعدها إلى القلب، فإذا قبلتها النفس تحركت لقبول ما بعدها، وإن لم تقبلها كانت خليقة أن تتقبض عما بعدها"<sup>(١)</sup>، وهي "أن يأتي الناظم أو الناثر في ابتداء كلامه ببيت أو قرينة تدلُّ على مراده في القصيدة أو الرسالة، أو معظم مراده"<sup>(٢)</sup>، وقد أوجزه الكلاعي، فقال: "الإشارة في الصدور إلى الغرض المذكور"<sup>(٣)</sup>. ويختلف الاستهلال الحجاجي للمناظرات عن الاستهلالات الأخرى في النص الأدبي في أنه يجنح إلى الإفحام النفسي قبل الولوج في الحجاج اللفظي، فيكون الأول عوناً على تحقق الثاني، ومن ثم يشكل مقدمة رئيسة في إجماع الخصم الحجة في المناظرات، فهو "أحد المكونات الممكنة للخطاب الإقناعي في عالم السرد"<sup>(٤)</sup>، وقد استهل الشيخ الأذرمي مناظرته في بدعة القول بخلق القرآن، فقال: (يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: ابْنُ أَبِي دُوَادٍ يَقُلُ وَيَضِيقُ، وَيَضْعَفُ عَنِ الْمُنَازَرَةِ)<sup>(٥)</sup>، فبنى ترتيبه التهكمي للكلمات على التلازم العقلي، حيث يلزم من قلة الشيء أن يضيق، ويلزم من ضيقه ضعفه؛ وعليه؛ فابن أبي دُوَادٍ يقل علماً، ويضيق أفقاً، ويضعف حجة عن المناظرة، وفي هذا ذم ومدح؛

(١) القرطاجني، حازم بن محمد بن محمد بن حسن: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، تونس، الدار العربية للكتاب، ٣٠٩.

(٢) الحلبي: حسن التوسل، ٢٥٠.

(٣) الكلاعي، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور: إحكام صنعة الكلام، تحقيق: محمد رضوان الداية، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٦م، ٧٧، ٦٧.

(٤) سعودي، نوري: الاستهلال وأدواره الحجاجية في الخطاب السردية مقارنة تداولية في نماذج من نوادر الجاحظ، حولية كلية اللغة العربية بجرجا، مج ٢٤، ع ٢، فبراير، ٢٠٢٠م، نقلًا عن: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ٢٧١.

(٥) الأجزبي: الشريعة، ١/٥٤٠.



فالذم لابن أبي دؤاد، والمدح للشيخ الأذرمي بمفهوم المخالفة؛ لأن الضد يستدعي ضده في المقابلة السياقية بين طرفي الخطاب على النحو التالي:

الأذرمي	المناظرة	ابن أبي دؤاد
يزيد (علما)	مقدمة (١)	يقُل (علما)
يتسع (أفقا)	مقدمة (٢)	يضيق (أفقا)
يقوى (حجة)	مقدمة (٣)	يضعف (حجة)
ينتصر (نتيجة كبرى)	ن (١)	يُغلب (نتيجة كبرى)

وبهذا الاستهلال التقابلي الكامن وراء حواشي الجملة الخبرية يهيئ الأذرمي المتلقيين لاستحضار ضعف حجة الخصم قبل الولوج في الخطاب الحجاجي، فإذا عجز الخصم عن الحجة في سياق المناظرة، وقع الانسجام بين تلك التهيئة وما يريد المبدع أن يقرره في نفس المتلقي من الحق. وقد أدرك الواثق مكنون هذا الاستهلال التقابلي بين طرفي المناظرة فاستكره؛ وَعَادَ مَكَانَ الرَّأْفَةِ لَهُ - أَي لِلأذْرَمِيِّ - غَضَبًا عَلَيْهِ، واتخذ من الجملة الإنشائية على جهة الاحتجاج سندا في الرد عليه؛ فَقَالَ الواثق: (أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي دُوَادٍ يَصْبُو، وَيَقُلُّ، وَيَضْعُفُ عَنْ مُنَاطَرَتِكَ أَنْتَ؟! والتقدير: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي دُوَادٍ يَصْبُو وَيَقُلُّ وَيَضْعُفُ عَنْ مُنَاطَرَتِكَ أَنْتَ؟! فقدّم كُنْيَتَهُ، وهي (أبو عبد الله...))، لبيان منزلة ابن أبي دؤاد، وعبر عن الشيخ الأذرمي بضمير المخاطب (أنت) للانتقاص من قدره، ووظف الاستفهام الاستنكاري في إعادة ترتيب الاستهلال التقابلي من جديد على النحو التالي:

الأذرمي	المناظرة	أحمد بن أبي دؤاد
يصبو/يقُل (علما)	مقدمة (١)	يزيد (علما)
يضيق (أفقا)	مقدمة (٢)	يتسع (أفقا)
يضعف (حجة)	مقدمة (٣)	يقوى (حجة)
يُغلب (نتيجة كبرى)	ن (١)	ينتصر (نتيجة كبرى)

وبالتأمل يظهر أننا أمام نتيجتين متضادتين: (نصرة الأذرمي لضعف حجة ابن أبي دؤاد، أو نصرة ابن أبي دؤاد لضعف حجة الأذرمي)، ومن ثم تسعى المناظرة لإثبات إحدى النتيجتين، ويتضح أن للأذرمي مع الواثق بالله في الاستهلال حالتين: الأولى؛ حالة التوقير والتقريب قبل التلفظ: عند دخوله عليه مقيدا؛ كما يلي:

(الشيخ جميلُ الوجهِ، تَأَمَّ الْقَامَةِ، حَسَنُ الشَّيْبَةِ)	م (١) :
<u>قَدْ اسْتَحْيَى الْوَائِقُ مِنْهُ، وَرَقَّ لَهُ</u>	م (٢) :
<u>بِذَنِيهِ وَيَقْرِبُهُ مِنْهُ</u>	ن (كبرى) :

والثانية: (حالة الغضب عليه بعد التلفظ في الاستهلال)، ويمكن بيانها على النحو التالي:

الشيخ الأذرمي	الحوار	الخليفة الواثق
ابْنُ أَبِي دُوَادٍ يَقِلُّ وَيَضِيقُ، وَيَضَعُفُ عَنِ الْمُنَازَرَةِ.		أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي دُوَادٍ: يَصْبُو، وَيَقِلُّ، وَيَضَعُفُ عَنِ مُنَازَرَتِكَ أَنْتَ؟! (جملة إنشائية)
(جملة خبرية)		

البنية الحجاجية لاستهلال الأذرمي بنية خبرية تهكمية، والبنية الحجاجية لرد الواثق بنية إنشائية (تهكمية)، وفي البنية الخبرية تقرير لكذب ابن أبي دؤاد في نفس الشيخ، يعزز من تقريرها في نفوس المتلقين بتتابع الحجج الواردة في المناظرة، وفي البنية الإنشائية تهكم، وتكذيب من الواثق للشيخ الأذرمي، يستلزم أن طلب الإذن في المناظرة للتعجيل بالإقناع؛ ولذا قال: (هُوَ عَلَيْنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا بِكَ، وَأَنْدُنْ لِي فِي مُنَازَرَتِهِ؛ فَقَالَ الْوَائِقُ: مَا دَعْوَتُكَ إِلَّا لِلْمُنَازَرَةِ)؛ فلم تعد المناظرة تحديا بين الأذرمي وابن أبي دؤاد فحسب؛ وإنما صارت تحديا بينه وبين الواثق أيضا، وهذا أهم في

نصرة حجته وتقرير مذهبه؛ لما للخليفة من القدرة على نشرها بين الناس متى زالت عنه شبه الخصم. وهذا من الاستدراج البلاغي البديع، قال ابن الأثير: "يقال: استدراج فلان فلانا إذا توصل إلى حصول مقصوده من غير أن يشعره من أول وهلة. والمراد بذلك الملاطفة في الخطاب، ولزوم الأدب في الكلام مع المخاطب بحيث لا تتفر نفسه قبل حصول المقصود منه"<sup>(١)</sup>، وقال التتوخي: "ومن البيان الاستدراج، وهو استمالة المخاطب بما يؤثره ويأنس إليه أو ما يخوفه ويرعبه قبل أن يفاجئه المخاطب بما يطلب منه. وهذا باب واسع، وهو أن يقدم المخاطب ما يعلم أنه يؤثر في نفس المخاطب من ترغيب، وترهيب، وإطماع وتزهيد"<sup>(٢)</sup>، وفي القصر بالنفي والاستثناء الوارد في قوله: (مَا دَعَوْتُكَ إِلَّا لِلْمُنَاطَرَةِ)، بيان لمنزلة بدعة القول بخلق القرآن في النفوس، مع تأكيد الواثق لما يجهله المخاطب وينكره من أمر المناظرة، فتلطف الشيخ بقوله للواثق: هَوْنٌ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا بِكَ، وَأَنْدَنْ لِي فِي مُنَاطَرَتِهِ، وأجابه الواثق بقوله: مَا دَعَوْتُكَ إِلَّا لِلْمُنَاطَرَةِ؛ ثقة منه في ابن أبي دواد، أو طمعا في بلوغ الحق، أو رغبة في الانتقام من الشيخ الأذرمي والانتصار لمذهب ابن أبي دواد.

ومما يدل على جودة الاستهلال في المناظرة أنها اشتملت على موضوعها في صدرها؛ فكان صدرها دالا على انتهائها، وانتهائها مجيبا عن صدرها ومقررا له، ومن ذلك قول الشيخ: (يَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ، إِلَيَّ مَا

(١) ابن الأثير، نجم الدين أحمد بن إسماعيل: جوهر الكنز تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة، تحقيق: محمد زغلول سلام، الأسكندرية، منشأة المعارف، ٢٠٠٩م، ١٥٦.

(٢) التتوخي، زين الدين محمد: الأقصى القريب في علم البيان، ط١، مصر، مطبعة السعادة، ١٣٢٧هـ، ١٠٣.

دَعَوَتِ النَّاسَ وَدَعَوْتَنِي إِلَيْهِ؟ فَقَالَ: إِلَى أَنْ تَقُولَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؛ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ دُونَ اللَّهِ مَخْلُوقٌ). وبذلك يتبين حسن الافتتاح، لعدة أمور:

الأول: تصريح ابن أبي دؤاد بمقالته، والاحتجاج لها احتجاجاً تعليلياً.

الثانية: نقض الأذرمي لهذه المقالة بعدم التلفظ بها؛ فيكون اللسان موافقاً للجنان في التنزيه عن القول بخلق القرآن.

الثالث: التلطف والاستدراج في التخلص من المقدمة إلى الحجج الواردة في المناظرة.

الرابع: التعجيل بالنتيجة في الاستهلال قبل الولوج في الحجج بالكشف والبيان.

## ٢- حاجية تقديم النتيجة على المقدمات:

من وسائل الإقناع الحجاجي أن يشتمل الاستهلال على تقديم النتيجة في المناظرة، قال الشيباني: "وليكن في صدور كتابك دليلٌ على مرادك، وافتتاح كلامك برهان شاهد على مقصدك، حيثما جريت فيه من فنون العلم، ونزعت نحوه من مذاهب الخطب والبلاغات؛ فإن ذلك أجزل لمعناك، وأحسن لاتساق كلامك"<sup>(١)</sup>، ومن ذلك قول الأذرمي: ابنُ أبي دؤادٍ يَقُلُّ، وَيَضِيقُ، وَيَضَعُفُ عَنِ الْمُنَاطَرَةِ، وهذا يستلزم أمرين:

الأول: أنه ألزم نفسه بإثبات أن ابن أبي دؤادٍ يَقُلُّ، وَيَضِيقُ، وَيَضَعُفُ عَنِ الْمُنَاطَرَةِ.

والثاني: إلزام الواثق له بالإثبات، والمرء إذا ألزم نفسه بشيء صار حجة له أو عليه، وإذا ألزمه ولي أمره بما ألزم به نفسه، فإما أن يلتزم إثباته

(١) الشيباني، إبراهيم بن محمد: الرسالة العذراء في موازين البلاغة وأدوات الكتابة، تحقيق: يوسف محمد فتحي، القاهرة، دار الطلائع، ٢٠٠٥م، ٤٨.

وإما لا، فإن التزمه فقد استحق النصره على خصمه، وإن لم يلتزمه؛ فقد استحق الهزيمة والعقوبة. وقد دلَّ عَجَزُ المناظرة على أنه التزمه، حيث قال: (يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ قَدَمْتُ لَكَ الْقَوْلَ أَنَّ أَحْمَدَ يَصُبُّ وَيَقِلُّ وَيَضْعُفُ عَنِ الْمُنَاطَرَةِ).

وقد استهل الشيخ الأذرمي السؤال بتحديد المسئول (المخاطب)؛ أي الطرف الثاني في الخطاب الحجاجي؛ فقال: يا أحمد ابن أبي دؤاد، ثم الولوج مباشرة إلى الإيجاز في السؤال - إلى ما دَعَوَتِ النَّاسَ وَدَعَوْتِي إِلَيْهِ؟ فقدم العام (الناس) على الخاص (نفسه)؛ للاهتمام ولأن المناظرة بينه وبين ابن أبي دؤاد في الأصل مناظرة بين الناس وابن أبي دؤاد، ولم يقل في الجواب: إلى أن يقول الناس...، وتقول... على وفق ما ورد في السؤال؛ وإنما قال: (إِلَى أَنْ تَقُولَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؛ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ دُونَ اللَّهِ مَخْلُوقٌ)؛ فاستغنى بذكره عن الناس في الجواب؛ خشية أن يتبعه الناس، حيث يلزم من قول الشيخ اتباع الناس له، قال سيبويه: "واعلم أن العرب قد تستغني بالشيء عن الشيء، حتى يصير المستغنى عنه مسقطاً من كلامهم البتة"<sup>(١)</sup>، ثم حدد المطلوب وصرح به، فقال: (أَنْ تَقُولَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ)، واستدل على ذلك بقوله: (لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ دُونَ اللَّهِ مَخْلُوقٌ)، فاشتملت الحجة التعليلية (ح ١) على إيجاز بحذف الحجة (ح ٢) فلم يذكرها للتعجيل بالنتيجة؛ كما يلي:

كل شيء دون الله مخلوق	ح ١
القرآن شيء <sup>(٢)</sup>	ح ٢
قال ابن أبي دؤاد: القرآن مخلوق	ح ١

(١) سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ٣/١٢١.

(٢) تشير هذه العلامة إلى أن الحجة الثانية في الخطاب الحجاجي محذوفة، وقد أسقطها المتكلم ثقة في علم المتلقي بها مع التعجيل بالنتيجة التي يريد نقلها.

ولما جرت العادة بالحيدة من الخصم في المناظرات، استلزم الأمر أن يقع الاستشهاد على ما يقول بمن هو أقوى منه لرده، فقال الشيخ الأذرمي: (إِنْ رَأَيْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَحْفَظَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِ مَا نَقُولُ، قَالَ: أَعْمَلُ. قَالَ الشَّيْخُ: أَخْبِرْنِي يَا أَحْمَدُ عَنْ مَقَالَتِكَ هَذِهِ، أَوْاجِبُهُ دَاخِلَةً فِي عَقْدِ الدِّينِ، فَلَا يَكُونُ الدِّينُ كَامِلًا حَتَّى يُقَالَ فِيهِ مَا قُلْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ). فقدم طلب الحفظ على نفسه على الحفظ على ابن أبي دؤاد؛ لتوجيه المخاطب إلى أهمية ما يريد تقريره في البناء الحجاجي للخطاب الحواري:

الشيخ من أذنة	المناظرة	ابن أبي دؤاد
مقالتك/ ما قلت (لم يذكرها)	←	تقول: القرآن مخلوق.
∅...	←	كل شيء دون الله مخلوق.
∅...	←	القرآن شيء.
في عدم ذكرها نفي لها.	←	القرآن مخلوق.
أواجبة داخله في عقد الدين؟	→	نعم، فلا يكون الدين كاملا
فلا يكون الدين كاملا حتى		حتى يقال فيه ما قلت.
يقال فيه ما قلت؟		

يُبنى البناء الحواري عن تقرير كل منهما لما يعتقد في مستهل المناظرة، فيصرح ابن أبي دؤاد بعقيدته في القرآن، فيقول: القرآن مخلوق، ويعجّل بالاستدلال عليه، ويصرح الشيخ الأذرمي بعقيدته في أن القرآن غير مخلوق، ويتدرج في الاستدلال على ذلك، والاستدراج من "مخادعات الأقوال التي تقوم مقام مخادعات الأفعال. والكلام فيه وإن تضمن بلاغة، فليس الغرض ههنا ذكر بلاغته فقط، بل الغرض ذكر ما تضمنه من النكت الدقيقة في استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم"<sup>(١)</sup>، ومن ثم فالبناء

(١) ابن الأثير، نصر الله بن محمد: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق:

محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ، ٢/ ٦٤.

الحجاجي للحوار بينهما على نحو مختلف. أضف إلى ذلك أن من آليات حسم العناد أن الشيخ الأذرمي أخرج الكلام مخرج الشك في السؤال؛ وهو يعلم الجواب" وإخراج الكلام مخرج الشك ...؛ لضرب من المسامحة وحسم العناد، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَأَنَا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(١)</sup>؛ ومن ذلك قول الأذرمي: أَوْاجِبَةٌ دَاخِلَةٌ فِي عَقْدِ الدِّينِ، فَلَا يَكُونُ الدِّينُ كَامِلًا حَتَّى يُقَالَ فِيهِ مَا قُلْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فليس السؤال لعدم علم المتكلم بالجواب؛ وإنما للاستدراج في تشكيك الخصم في نفسه.

### ٣- بلاغة الإلزامات الحجاجية في المناظرة:

الإلزامات الحجاجية أو "الحجة الإلزامية هي المركبة من المقدمات المسلمة المقصود منها إلزام الخصم وإسكاته، وهي شائعة في الكتب"<sup>(٢)</sup>، ومن صورها أن يحتمل السؤال جوابين فأكثر لا يجد الخصم لنفسه عنهما بديلا، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ۗ وَإِنْ يَكُ كُذِبًا فَعَلَيْهِ كُذِبُهُ ۗ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨]، فأخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم، فقال: لا يخلو هذا الرجل من أن يكون كاذبا فكذبه يعود عليه ولا يتعداه، أو يكون صادقا فيصيبكم بعض الذي يعدكم إن تعرضتم له"<sup>(٣)</sup>، ولذا استنكر قتلهم له، وقد يفصح المحتج بهذه الإلزامات

(١) الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار المعرفة، ١٣٩١هـ، ٤٠٩/٣.

(٢) التهانوي، كشاف إصلاحات الفنون، تحقيق رفيق العجم، وعلي دحروج، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٦م، ١/٦٢٢.

(٣) الطوفي، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم: الإكسير في علم التفسير، بتحقيق: عبد القادر حسين، القاهرة، مكتبة الآداب، ١٩٧٧م، ٢٩١.

أو لا يصرح بها رغبة في الإيجاز؛ لسهولة استنباطها من سياق الكلام، ومن الإلزامات الحجاجية في المناظرة قول الأذرمي: (أَوَاجِبَةٌ دَاخِلَةٌ فِي عَقْدِ الدِّينِ، فَلَا يَكُونُ الدِّينُ كَامِلًا حَتَّى يُقَالَ فِيهِ مَا قُلْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ). والمعنى: أقولتك وَأَجِبَةٌ دَاخِلَةٌ فِي عَقْدِ الدِّينِ أَمْ لَا؟ فَإِنْ قَالَ: لَا. قيل له: فعلام حمل الناس على ما لا يكون واجبا في عقد الدين؟ وإن قال: نعم، قيل: أيكون الدين كاملا حتى يقال فيه ما قلت؟ فإن قال: لا؛ فقد أبطل وجوب دخولها في عقد الدين، وإن قال: نعم. قيل له: هَلْ سَتَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِي دِينِهِ؟ فَإِنْ قَالَ: نَعَمْ؛ فقد طعن في أمانة التبليغ التي أمر الله بها نبيه، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾، وإن قال: لا، ولا بد؛ قيل له: إذن ما ستر رسول الله شيئا مما أمر الله به، وأنت تقول بأن مقالتك داخلة في عقد الدين، ويلزم من ذلك أن يقال: أَعَلِمَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْ جَهَلَهَا؟ ولن يخلو جوابه من أن يقول: علمها؛ فيقال له: ما الدليل؟! وفي أي موضع؟! وهل دعا الأمة إليها؟ فإن لم يأت بالبرهان، قيل له: علمه وكتمه فلم يبينه، وفي الكتمان اتهام للنبي بعدم النصح، وفي عدم الإبانة اتهام للنبي بعدم الفصاحة والبلاغة. أو يقول: ما علمها، وحينئذ يقال له: شيء من دين الله لم يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم أف تعلمه أنت؟! وقد اتسمت هذه الإلزامات الحجاجية بحسن الترتيب والإيجاز، حيث عبر عن الكثير من الإلزامات بثلاث قضايا كبرى تنم عن تبحر في العلم ودقة في المسلك الحجاجي على النحو التالي:



ترتيب الإلزامات الحجابية الموجزة

المناظرة	الشيخ الأذني	الحجج	ابن أبي دؤاد
م(١):	أواجبة داخلية في عقد الدين؟ فلا يكون الدين كاملاً حتى يقال فيه	ح (١)	قال: نعم
م(٢):	هل ستر رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً مما أمر الله	ح (٢)	قال: لا
م(٣):	هل دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمة إلى مقاتك	ح (٣)	لا (استتباط)
ن ١: فسكت ابن أبي دؤاد			

يشير ترتيب الحجج إلى أن الشيخ الأذرمي قد ترك التعليق على جواب ابن أبي دؤاد عن الحجة (١)، والثانية (٢)، والثالثة (٣)؛ للمجازاة، قال السيوطي: "مجازاة الخصم؛ ليعثر بأن يسلم بعض مقدماته، حيث يراد تبكيته وإلزامه"<sup>(١)</sup>، وقد رتب الحجة الثانية على الأولى؛ لأنه لما ذكر كمال الدين ناسبه أن يتبعه بالسؤال عن أمانة التبليغ في الحجة الثانية، ثم استدعى الجواب بنفي ستر شيء مما أمر الله به، فأثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم - قد بلغ ما أنزل إليه من ربه، وهذا يستلزم أن النبي لم يخلق بخلق القرآن، ومن ثم يلزم الإقرار بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يدع الأمة إلى القول بخلق القرآن. وهذا يفضي إلى النتيجة الكبرى؛ وهي شيء لم يقله النبي، ولم يدع الأمة إليه أفنقله أنت وتدعوها إليه!؟

(١) جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م، ٤/٦٦.

وهذا على الإلزام العقلي المرتب للحجج، فمن أبرز التقنيات الحجاجية التي يوظفها المناظر في الإذعان والتسليم ترتيب الحجج "فالترتيب هو نفسه حجة<sup>(١)</sup>، ومراعاة إحكام التنقل من جزء إلى آخر، فكلما كانت الحجة مرتبة في أجزائها، منسقة محكمة التنسيق، كانت أدعى لقبول المتلقي أو لإذعانه بها، بل إنه لا قوة لها ولا أثر ولا قدرة على الإقناع، إذا لم تكن مرتبة ومنسقة تنسيقاً حكيمًا يحقق الإقناع في نفس المتلقي، والمقدمة شأنها شأن أي نص خطابي تتضمن مجموعة من الأجزاء التي يترتب بعضها على بعض ترتيباً يُعطى به المؤلف حُجَّة التأييد التي بها يقتنع المتلقي بأهمية الكتاب، وحتمية موضوعه<sup>(٢)</sup>.

وهذه الإلزامات بما اشتملت عليه من بلاغة الإيجاز، وحسن الترتيب، وجودة الربط الانتقالي تدفع الخصم إلى أن يكون أسيراً للسكوت، فإن قال قائل: لماذا قال الشيخ الأذرمي لابن أبي دؤاد: تكلم، قلنا: إن إجماع الخصم بالحجة أقوى من أن يجري ماء الكلام في فمه فينطق، ومن ثم كان الجواب أن سكت ابن أبي دؤاد سكوت عجز لا سكوت تسليم؛ ونظراً لتتابع الأذرمي لما اشترطه من الحفظ عليهما، ولأن التحدي على العموم كما ذكرنا سلفاً، فقد التفت الشيخ إلى الواثق، فقال: يا أمير المؤمنين، واحدة. قال الواثق: واحدة؛ أي: واحدة للشيخ في إجماع ابن أبي دؤاد والواثق الحجة. ومن أنواع الإلزامات وفنون الإفحامات عند الأذرمي التجاء الخصم إلى جواب المحتج عليه.

(١) أوليفي رويول: مدخل إلى الخطابة، ترجمة: رضوان العصبية، مراجعة: حسان

الباهي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء ٢٠١٧م، ٨٨.

(٢) رضوان، ياسر عبد الحسيب: الروابط الحجاجية في الخطاب المقدماتي: غريب

الحديث للخطابي نموذجاً، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مجلة جيل الدراسات

الأدبية والفكرية، ٦٩ع، مايو ٢٠٢١م، ٢٣.

#### ٤- الإلجاء إلى الجواب المعين:

أن يضمن الخصم حجته ما يجعل المتلقي أسيراً لأن يقول ما يرغب فيه، أو بعبارة أخرى أن يحمل المتكلم المخاطب على أن يرد على نفسه، "ولكل كلام يرد فيه على المعترض عليه جواب مدخول، إذا دخله الخصم به التجأ إلى تصحيح الجواب"<sup>(١)</sup>، ولذا فالإلجاء من الوسائل البلاغية التي تعطي المبدع(المتكلم) الحرية في تشكيل الجواب كيفما شاء، ومن ذلك احتجاج الشيخ الأذرمي على قول ابن أبي دؤاد: القرآن مخلوق؛ لأن كل شيء دون الله مخلوق.

#### (حجة ابن أبي دؤاد)

ح(١): كل شيء دون الله مخلوق.

ح(٢): القرآن شيء ∅

ن(١): ابن أبي دؤاد: القرآن مخلوق.

فاحتج عليه الشيخ الأذرمي، فقال: (يَا أَحْمَدُ الْكَلِمَةُ الَّتِي يُكُونُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا الْأَشْيَاءَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهَا؟ فَسَكَتَ أَحْمَدُ). فسأله عما لا يخرج جوابه عن حد الإثبات أو النفي، فإنه يلزم من الجواب عن هذا السؤال أن يعلمها أو لا يعلمها، فإن علمها، قيل له: ما الدليل؟ وفي أي موضع؟ فقد دل الدليل على الشيء الذي خُلق منه الإنسان، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ [الصفات/١١]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن/١٤]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا

(١) المصري: ابن أبي الإصبع: بديع القرآن، تحقيق: حفني شرف، القاهرة، دار نهضة

فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ [النور/٥٤]، وقال الله في الجان: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ [الرحمن: ١٥]، فما الدليل على الشيء الذي خلقت منه الكلمة التي كون الله منها الأشياء؟! وإن لم يعلمها سكت، قال الأذرمي: فَسَكَتَ أَحْمَدُ. وهذا السؤال الحجاجي يشير إلى عدم إثبات أحمد بن أبي دؤاد صفة الكلام لله، لأنه يلزم من الزعم بخلق القرآن عدم إثبات صفة الكلام لله، ويمكن بيان ذلك على النحو التالي:

(ح ١) ابن أبي دؤاد: القرآن مخلوق.

(ح ٢) القرآن كلام

(ن ١) الكلام مخلوق

(ن ٢) الكلام ليس من صفات الله، بل من مخلوقاته .

فقال الأذرمي في الرد عليه: (يَا أَحْمَدُ أَخْبِرْنِي حَيْثُ كَانَ اللَّهُ فِي وَحْدَانِيَّتِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ كَمَا تَأْمَأُ أَوْ نَاقِصًا؟ قَالَ: بَلْ تَأْمَأُ. قَالَ: فَكَيْفَ يَكُونُ تَأْمَأُ مَنْ لَا كَلَامَ لَهُ؟! فَسَكَتَ أَحْمَدُ. فَقَالَ: أَرْبَعُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ...)، إذ يلزم من اتصاف الله بالكمال أن يتكلم، قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، ولا شك أن انتفاء الكلام نقص، والله كامل، وهذا كله من الإيجاز الذي يمكن توضيحه على النحو التالي:

(م ١): انتفاء الكلام نقص

(م ٢): الله كامل

(ن ١): الله يتكلم بحرف وصوت

(ن ٢): كلام الله غير مخلوق

(ن ٣): القرآن كلام الله

(ن ٤): الأذرمي: القرآن كلام الله غير مخلوق

قَالَ الشَّيْخُ الْأَذْرَمِيُّ: (يَا أَحْمَدُ أَكَانَ اللَّهُ عَالِمًا تَامَّ الْعِلْمِ، أَمْ كَانَ جَاهِلًا؟ فَسَكَتَ أَحْمَدُ)؛ فسأله عما لا جواب عنه إلا بالتحديد والتصور؛ أَكَانَ اللَّهُ عَالِمًا تَامَّ الْعِلْمِ، أَمْ كَانَ جَاهِلًا؟ ليحتج عليه بسؤال ضمني آخر: كيف يكون تام العلم من ليس الكلام من صفاته؟!

والأذرمي بهذا السؤال يدفع خصمه إلى هدم معتقده في القرآن هدمًا؛ لأن إثبات العلم يستلزم إثبات الكلام على الوجه الذي يليق به، ومن ثم سكت ابن أبي دؤاد، فقال الشيخ الأذرمي: خَمْسٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ... فخيره بين أمرين وألجأه إلى أحدهما؛ ليحتج عليه به وذلك على النحو التالي:

الله عالم تام العلم	ح(١):
المخلوق ناقص العلم	ح(٢):
القرآن من علم الله التام	ح(٣):
القرآن كلام الله غير مخلوق.	ن(١):

قال الشيخ الأذرمي: (يَا أَحْمَدُ، قَوْلُهُ: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السجدة: ١٣] الْكَلِمَةُ مِنْهُ أَمْ خَلَقَهَا مِنْ غَيْرِهِ؟ فَأَمْسَكَ أَحْمَدُ، فَقَالَ: سِتُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ...). حيث يلزم من الآية القول بأن الكلام من الله، ويلزم من ذلك أن كلام الله غير مخلوق؛ لأنه لو كان مخلوقًا وهو من الله، لكان الله مخلوقًا وحاشاه سبحانه. ولو قال: خلقها من غيره؛ لقليل له: ما الشيء الذي خلقها منه؟! ولا علم له، "فَأَمْسَكَ أَحْمَدُ، فَقَالَ الشَّيْخُ: سِتُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ...".

قال الشيخ: يَا أَحْمَدُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤]، أَفَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مَخْلُوقًا؟<sup>(١)</sup> إذا قال مخلوق، وفيه لفظ الجلالة كفر، وإذا قال: غير مخلوق نقض ما استهل به المناظرة من زعمه بأن القرآن مخلوق، ومن ثم فسكت أحمد. وبذلك صار آخر المناظرة هدمًا لما قرره الخصم في أولها وتأكيدها لوجه الأذرمي على أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

(١) نفسه، ٦/٢٧٠.

## ٥- الإطناب ودوره الحجاجي في المناظرة:

الذي يحدّ به أن يقال: هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة. فهذا حدّه الذي يميزه عن التطويل؛ إذ التطويل هو زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة، وأما التكرير فإنّه دلالة على المعنى مررداً<sup>(١)</sup>، ولا يغني الإيجاز عن الإطناب أو العكس، فلكل مقام مقال" والقول القصد أنّ الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام وكل نوع منه ولكل واحد منهما موضع، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه. فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ<sup>(٢)</sup>، وللاطناب في المناظرة عدة صور؛ منها:

### أ- الإطناب بالإيضاح والتفسير:

ومن ذلك قول ابن أبي دؤاد: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؛ (لِأَنَّ) كُلَّ شَيْءٍ دُونَ اللَّهِ مَخْلُوقٌ.

إبهام  
نتيجة ١ + حجة تعليلية للنتيجة.  
إيضاح بالتعليل

وقد انطوى هذا الإيضاح على عدة إلزامات ضمنية، سكت عنها ابن أبي دؤاد؛ وهي أن القرآن شيء، وكل شيء دون الله مخلوق، ومن ثم فالقرآن مخلوق بزعمه، ويمكن فهمها على النحو التالي:

القرآن شيء.	ح(١):
كل شيء دون الله مخلوق.	ح(٢):
<u>ابن أبي دؤاد: القرآن مخلوق.</u>	ن(١):

(١) ابن الأثير: المثل السائر، ١٢٨/٢.

(٢) العسكري: الصناعتين، ١٩٠.

وقد سلك الأذرمي مسلكا حجاجيا في الرد على الحجة (٢) لهدم النتيجة (١)؛ وهو الاستشهاد بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾، الْكَلِمَةُ مِنْهُ أَمْ خَلَقَهَا مِنْ غَيْرِهِ؟ لبيان أن القرآن كلام الله، وليس من دون الله.

### ب- الإطناب بالازدياد من الحجج:

ومن الإطناب الذي ورد في المناظرة طلب الازدياد من الحجج؛ ليكون أبلغ في الإقناع وأدعى لحمل الخصم على الرجوع عن تلك المقالة، وقد استطاع الأذرمي بما أوتي من التوفيق والسداد في بلاغة الحجج أن يحمل الواصل على طلب الازدياد من الحجج، فقال: (يَا شَيْخُ زِدْ أَحْمَدَ مِنْ هَذِهِ الْحُجَجِ لَعَلَّهُ يَرْجِعُ عَنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ. قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْكُمْ نَزَلَ الْعِلْمُ، وَمِنْكُمْ افْتَبَسْنَاهُ)، فتضمن هذا الخطاب أربعة أمور:

الأول: أن طلب الازدياد من حجج الحق لا يكون إلا ممن عرفه وعمل به.

الثاني: رجوع الواصل عن تلك المقالة مع إصرار أحمد بن أبي دؤاد عليها.

الثالث: اقتداء الواصل بالأذرمي في عدم التلطف بها، فقال: لعله يرجع عن هذه المقالة.

الرابع: تأدب العلماء وتلطّفهم مع الخلفاء، فقال الشّيخ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْكُمْ نَزَلَ الْعِلْمُ، وَمِنْكُمْ افْتَبَسْنَاهُ.

وقد امتثل الأذرمي هذا الأمر، فسلك مسلكا حجاجيا يختلف عما سلف؛ فلم يعد يضمّر الإلزامات الحجاجية كما كان يحدث من قبل؛ وإنما أخذ في الإفصاح عنها؛ فقال الشّيخ: (يَا أَحْمَدُ قَدْ عَلِمْنَا وَعَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، أَلَيْسَ مَا أُنزِلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَهَلْ تَقْدِرُ أَنْ تَقُولَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلَّغْنَا هَذَا الَّذِي تَدْعُونَا إِلَيْهِ؟ أَمْ هَذِهِ الْمَقَالَةُ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ حَتَّى نَتَابِعَكَ عَلَيْهَا، وَإِنْ قُلْتَ: إِنَّهُ لَمْ يُبَلِّغْنَا، فَقَدْ نَسَبْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ كَتَمَ أَمْرًا أَمَرَهُ اللَّهُ بِإِبْلَغِنَا إِيَّاهُ، فَسَكَتَ أَحْمَدُ فَلَمْ يُجِبْهُ بِشَيْءٍ" (١).

لا تقتصر البلاغة على الاستشهاد بالآية فحسب؛ وإنما تتجاوز ذلك إلى مقام الاستشهاد بها من المناظرة، فقد جاء بها في عجزها، وفي هذا نكتة يشير إليها السياق، حيث قال: يَا أَحْمَدُ قَدْ عَلِمْنَا وَعَلِمْتَ ... فدل على موطن اتفاق بينهما؛ للترغيب، ولم يخص نفسه بالعلم -فقط- مع أن سياق المناظرة من قبل يشير إلى علمه الجم، ثم استشهد بالآية المتضمنة لأمانة التبليغ على الإقرار بأنها نزلت على الرسول - صلى الله عليه وسلم - ليكون ذلك سببا في الاحتجاج عليه، فقال: (فَهَلْ تَقْدِرُ أَنْ تَقُولَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلَّغْنَا هَذَا الَّذِي تَدْعُونَا إِلَيْهِ؟ أَمْ هَذِهِ الْمَقَالَةُ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ حَتَّى نَتَابِعَكَ عَلَيْهَا...)، ومن تأمل الإطناب في هذا الخطاب الحجاجي وجده يحمل ابن أبي دؤاد على العجز عن الإثبات أو نقض ما ادعاه، وذلك على النحو التالي:

الطرفان:	بَلَّغَ النَّبِيُّ مَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ.
الأذرمي:	هل المقالة داخلة فيما بلغه النبي أم لا؟
ابن أبي دؤاد:	ابن أبي دؤاد: المقالة داخلة.
الأذرمي:	بَلِّغْنَا النَّبِيَّ أَمْ لَمْ يَبْلِغْنَا؟
	↙ ↘
ابن أبي دؤاد:	بَلِّغْنَا يَسْتَلْزِمُ طَلْبَ الدَّلِيلِ
	لم يبلِّغها مع دخولها في الدين يستلزم الطعن
النتيجة	العجز عن الإتيان بالدليل
	نقض دخول المقالة في الدين.

(١) ابن بطة: الإبانة الكبرى، ٦/٢٧٠.



فقد زعم ابن أبي دؤاد أن هذه المقالة من الدين، وهذا يلزم منه أن يكون النبي قد بلغها، لقوله تعالى: ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾، ويلزم من ذلك أن يسأل عن موضعه مما أنزل على الرسول؛ أفي كتاب الله أو سنة نبيه حتى نتابعك عليهما؟! ولا دليل عنده. وإن قال: لم يبلغها؛ فقد نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى التفتير في أمر الله، وأنه كتم أمراً أمره الله إبلاغاً إياه، وإن قال لم يبينه؛ فقد طعن في أمانة تبليغه ونصحه، ولذا لم يكن إلا أن سكت أحمد فلم يجبه بشيء.

### ج-التكرار وأثره في تقرير الحجة:

يعد التكرار من أحد أنواع الإطناب في الدرس البلاغي، ويعظم توظيفه في المناظرات لأمرين: الأول: التقرير والتأكيد؛ "فكرّر الشيء أعاده مرة بعد أخرى، وكررت عليه الحديث: إذا ردّته عليه<sup>(١)</sup>، ومن فوائده "أنك إذا كرّرت فقد قرّرت المؤكّد وما علق به في نفس السامع، ومكنته في قلبه، وأمّطت شُبّهةً ربما خالجتة"<sup>(٢)</sup>، والثاني: الاحتجاج على الخصم بعدم الحيدة عن الصواب، واختبار تنبّهه، وقد استعمل الأذرمي هذه الوسيلة البلاغية في مناظرته لابن أبي دؤاد؛ لتقرير ما يرد إثباته في النفوس، واختبار تنبّه المتلقي وحسن استماعه، "فالاستماع الحسن عون للبلّغ على إفهام المعنى"<sup>(٣)</sup>، ومن ذلك قوله: (يا أمير المؤمنين: ابن أبي دؤاد يقلّ ويضيق ويضعف عن المناظرة). فقد كرّرت ثلاث مرات، حيث نكرها الأذرمي ورددها الواثق في الاستهلال متهماً ومكذّباً، فقال: (أبو عبد الله: ابن

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة: (كرر).

(٢) ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش: شرح المفصل للزمخشري،، قدم له: إميل بديع

يعقوب، ط، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، ١١٥.

(٣) العسكري: الصناعتين، ٢٠.

أبي دؤادٍ يصبو، ويقلّ، ويضعف عن مناظرتك أنت؟!، ثم ختم الأذرمي بها حججه، فقال: (يا أمير المؤمنين قدّمت القول أنّ أحمد يصبو، ويقلّ، ويضعف عن المناظرة). ولكن السياق يفرق بينهم؛ فالأولى: إقرار وإخبار، والثانية: اعتراض، وتهكم، وتكذيب، والثالثة: جواب وإثبات، وتقدير، وتأكيد بأن ابن أبي دؤاد يقلّ ويضيق ويضعف عن المناظرة، ومن ثم فلا حجة له فيما يقول.

ومن مواضع التكرار في المناظرة تكرار العدد عقب كل حجة من الحجة الأولى حتى السادسة؛ كما في قول الأذرمي: يا أمير المؤمنين واحدة. فقال الواثق: واحدة. فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين اثنتان. فقال الواثق: اثنتان... فقال الشيخ: ثلاث. فقال الواثق: ثلاث...، وغايته البلاغية الإقرار ببيان عدد إقامة الحجة على الخصم، حتى لا تقع المغالطة فيه أو الغفلة عنه.

ومن التكرار الذي غلب على ابن أبي دؤاد في المناظرة ظاهرة السكوت، حيث تكرر ذكره تسع مرات وبالذلالة عليه مرتين؛ ولم يخلو هذا التكرار من فاء السرعة والتعقيب؛ للدلالة على العجز التام عن مجارة الأذرمي في الحجة، وتختلف دلالات السكوت لاختلاف الحجج التي تقدمت عليها، والغاية من هذا التكرار تكمن في حمل الخصم على الإقرار والإذعان، وهذا قريب من التكرار في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبُّكُمْ تَكْفُرُونَ﴾، فقد تكررت واحدا وثلاثين مرة، لحمل المخاطب على الإقرار بالتفضل والإنعام. قال البغوي: "كررت هذه الآية في هذه السورة تقريرا للنعمة وتأكيدا للتذكير بها على عادة العرب في الإبلاغ والإشباع، يعدد

- على الخلق آلاءه، وفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليها<sup>(١)</sup> والمواضع التي تكرر فيها سكوت ابن أبي دؤاد ما يلي:
- قال الأذرمي: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأُمَّةَ إِلَى مَقَالَتِكَ هَذِهِ؟ فَسَكَتَ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ، فَقَالَ الشَّيْخُ: تَكَلَّمْ فَسَكَتَ. وفي السكوت الثاني تأكيد للأول.
- قال الأذرمي: يَا أَحْمَدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، حِينَ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] أَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى الصَّادِقُ فِي إِكْمَالِ دِينِهِ، أَمْ أَنْتَ الصَّادِقُ فِي نُفْصَانِهِ، فَلَا يَكُونُ الدِّينُ كَامِلًا حَتَّى يُقَالَ فِيهِ بِمَقَالَتِكَ هَذِهِ؟ فَسَكَتَ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ فَقَالَ الشَّيْخُ: أَحِبُّ يَا أَحْمَدُ، فَلَمْ يُجِبْهُ.
- قال الأذرمي: يَا أَحْمَدُ أَخْبِرْنِي عَنِ مَقَالَتِكَ هَذِهِ، أَعَلِمَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْ جَهَلَهَا؟ قَالَ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ: عَلِمَهَا، قَالَ الشَّيْخُ: فَدَعَا النَّاسَ إِلَيْهَا؟ فَسَكَتَ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ.
- قال الأذرمي: يَا أَحْمَدُ الْكَلِمَةُ الَّتِي يَكُونُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا الْأَشْيَاءَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهَا؟ فَسَكَتَ أَحْمَدُ.
- قال الأذرمي: يَا أَحْمَدُ أَخْبِرْنِي حَيْثُ كَانَ اللَّهُ فِي وَحْدَانِيَّتِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ كَانَ تَامًا أَوْ نَاقِصًا؟ قَالَ: بَلْ تَامًا. قَالَ: فَكَيْفَ يَكُونُ تَامًا مَنْ لَا كَلَامَ لَهُ، فَسَكَتَ أَحْمَدُ.
- قال الأذرمي: يَا أَحْمَدُ أَكَانَ اللَّهُ عَالِمًا تَامَ الْعِلْمِ، أَمْ كَانَ جَاهِلًا؟ فَسَكَتَ أَحْمَدُ.

(١) البغوي: معالم التنزيل، ٧/٤٤٣.

- قال الأذرمي: يَا أَحْمَدُ، قَوْلُهُ: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السجدة: ١٣] الْكَلِمَةُ مِنْهُ أَمْ خَلَقَهَا مِنْ غَيْرِهِ؟ فَأَمْسَكَ أَحْمَدُ.
- قال الأذرمي: وَإِنْ قُلْتَ: إِنَّهُ لَمْ يُبَلِّغْنَا، فَقَدْ نَسَبْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ كَتَمَ أَمْرًا أَمَرَهُ اللَّهُ إِبْلَاغَنَا إِيَّاهُ، فَسَكَتَ أَحْمَدُ فَلَمْ يُجِبْهُ بِشَيْءٍ
- قال الأذرمي: يَا أَحْمَدُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤]، أَفَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مَخْلُوقًا؟ فَسَكَتَ أَحْمَدُ

وقد ورد التكرار في آخر حجة في عجز المناظرة، فكرر الواثق قول الأذرمي: إن لم يتسع لنا من الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي- رضي الله عنهم - فلا وسع الله علينا. وفي هذا التكرار بيان لدرء الشبهة من قلب الواثق، ورجوعه عما انخدع به من بدعة القول بخلق القرآن، فلم يعد الواثق بذلك مرددا لابن أبي دؤاد بل صار محتجا عليه.

#### د- الربط الاستشهادي بالآيات (الافتباس)

يعد ربط الحجة بالاستشهاد من طرق الإطناب في إقامة الحجة على الخصم، والاستشهاد "أن تأتي بمعنى ثم تؤكد به معنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول والحجة على صحته"<sup>(١)</sup>، وللاحتجاج بالقرآن أثر عظيم في إقناع الخصم وإفحامه؛ "لما له من مكانة في القلوب، فهو الأساس الأول للشريعة الإسلامية، ولا يجرؤ أحد على الاعتراض عليه...، ولأهمية الاقتباس من القرآن نجد الثعالبي يصنف كتابا بعنوان (الاقتباس من

(١) العسكري: الصناعتين، ٤١٦.

القرآن) يقدم فيه للأدباء شواهد يمكن استخدامها عند الضرورة لتساعدهم على الإقناع...<sup>(١)</sup>.

وقد أجاد الأذرمي في توظيف الشواهد القرآنية في الاحتجاج على بطلان معتقد ابن أبي دؤاد ومن تبعه في القرآن، وذلك في أربعة مواضع، ومن ذلك توظيفه لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤]. فالدين كامل، ومقالة: القرآن مخلوق غير داخلة في الدين، ويلزم من ذلك أنها لو كانت من الدين لعلمها النبي، ولو علمها لبلغها؛ فانتفى دخولها في الدين لانتهاء علم النبي بها وتبليغها. ثم استشهد على إثبات صفة الكلام لله، فقال: قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾، وهذا من الإلزامات، فإن قال القول من الله فكيف يكون شيء من الله مخلوقاً؟! وإن قال من غيره لزم الإتيان بالدليل وتحديده، ثم انتهى البحث في المسألة وانقطع بالاحتجاج بقوله تعالى: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤]. لاستحالة أن يكون هذا مخلوقاً.

#### ٦ - بلاغة السؤال الحجاجي:

من بلاغة السؤال في الاستهلال حذف المسئول عنه، لتنزيه القرآن عنه، فلم يقل: أدعوت الناس للقول بخلق القرآن يا ابن دؤاد؟ وإنما أوجز،

(١) بو مصطفى: أيمن: الحجاج ووسائله البلاغية في النثر العربي القديم، طنطا، دار النابعة، ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م، ٧٩. بتصرف.

فقال: إِي مَا دَعَوْتَ النَّاسَ وَدَعَوْتَنِي إِلَيْهِ؟ فسأله عما يعلم؛ ليقر ابن أبي دؤاد بموضوع المناظرة، ولم يذكرها لتنزيه اللسان عن القول بخلق القرآن، ثم ذكر الخاص (ودعوتني) بعد العام (دعوت الناس)؛ للتنبيه والاختصاص. وفي السؤال عن تلك المقالة، قال الأذرمي: أَوْاجِبَةٌ دَاخِلَةٌ فِي عَقْدِ الدِّينِ؟ فاستفهم بهمزة التصديق، التي تستلزم النفي أو الإثبات، لما فيهما من القطع بالجواب الملزم، ثم أطنب الأذرمي في السؤال، فقال: فَلَا يَكُونُ الدِّينُ كَامِلًا حَتَّى يُقَالَ فِيهِ مَا قُلْتَ؟ فقال: نعم. أي إن القول بخلق القرآن من العقد الواجب في الدين عند ابن أبي دؤاد، فحملة بذلك الإطناب على الجواب بنعم تحديدا لمعنقه في القرآن واستدراجا لإبطاله بالاستشهاد من القرآن، ومن ثم يتضح أن الاستفهام الاستهلاكي يهدف إلى تحديد المعتقد أولا، ثم تكون الأسئلة الحجاجية بعد ذلك حجة على بطلان هذا المعتقد.

وقد وظف الأذرمي أداة الاستفهام (هل) لطلب وجوب النفي، فقال: هَلْ سَتَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِي دِينِهِ؟ قال ابن أبي دؤاد: لا. فاستعمل النكرة (شيئا) للعموم، (ومما) للتبويض؛ لبيان القطع بأمانة التبليغ بكل ما أنزله الله إليه، والفرق بين السؤالين أن في الأول حملا على وجوب الإثبات، وفي الثاني حملا على وجوب النفي، وهذا يعزز من قدرة الأذرمي على توجيه الجواب عند الخصم. ومن البلاغة السكوت، قال الأذرمي: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأُمَّةَ إِلَى مَقَالَتِكَ هَذِهِ؟ أي أدعا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأُمَّةَ إِلَى مَقَالَتِكَ هَذِهِ؟ فسكت. فَقَالَ الشَّيْخُ: تَكَلَّمْ فَسَكَتَ، وقد مهد للسكوت من السؤال الحجاجي الثاني بالتدرج في قلة حروف الجواب؛ ففي السؤال الأول جواب بثلاث كلمات، قال ابن أبي دؤاد: (القرآن مخلوق)، وفي السؤال الثاني جواب بكلمة مكونة من ثلاثة حروف (نعم)، وفي السؤال الثالث

جواب بكلمة مكونة من حرفين (لا)، وفي السؤال الرابع انقطاع للنفس بالسكوت.

وبضايف الأدرمي من الإطناب في البناء التركيبي للسؤال الحجاجي الخامس، فيقول: أَخْبَرَنِي عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، حِينَ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3] أَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى الصَّادِقَ فِي إِكْمَالِ دِينِهِ، أَمْ أَنْتَ الصَّادِقُ فِي نُقُصَانِهِ، فَلَا يَكُونُ الدِّينُ كَامِلًا حَتَّى يُقَالَ فِيهِ بِمَقَالَتِكَ هَذِهِ؟ فيحمل الخصم على تكذيبه لنفسه، وذلك على النحو التالي:

- |       |  |
|-------|--|
| ح ١ : | الله أكمل الدين بنص التنزيل.           |
| ح ٢ : | لم يستر رسول الله منه شيئاً.           |
| ح ٣ : | لم يدع رسول الله الأمة إلى قولتك.      |
| ن ١ : | <u>مقالتك ليست داخلة في عقد الدين.</u> |
| ن ٢ : | <u>ابن أبي دواد كاذب فيما ادعاه.</u>   |
| ن ٣ : | <u>فسكت ولم يجبه بشيء.</u>             |

فانظر كيف حمله في السؤال الثاني على الإثبات، ثم جعله في السؤال الخامس يكذب نفسه فيما أثبتته. ويجد ابن أبي دواد نفسه مكرها على الجواب في السؤال السادس لحفظ ماء الوجه بعد تكرار انقطاع النفس بالسكوت إثر كل حجة، فيقول الأدرمي: أَخْبَرَنِي عَنِ مَقَالَتِكَ هَذِهِ، أَعَلِمَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْ جَهَلَهَا؟ قَالَ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ: عَلِمَهَا، فَدَفَعَهُ إِلَى الْإِخْبَارِ عَنْ عِلْمِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بها؛ ليحتج عليه بطلب الدليل على ذلك؟ ولا دليل عنده، كما احتج عليه بأنها لو كانت من الدين وقد علمها رسول الله لطالب أمته بها، ولذا سكت.

وعلى الجملة فالأسئلة الحجاجية في المناظرة تهدف إلى أمرين:

الأول: إقناع الخصم وإفحامه، "فلا بد في المناقشة من أن تنتهي بعجز أحدهما عن دفع دليل الآخر، فإن كان العاجز هو السائل سمي

ملزماً، وسمي عجزه إلزاماً، وإن كان العاجز هو المعلل سُمي مفعماً، وسمي عجزه إفحاماً<sup>(١)</sup>.

**الثاني:** بيان أن حجة ابن أبي دؤاد في بدعة القول بخلق القرآن قد بنيت على بيت من العنكبوت.

#### ٧- البعد الحجاجي للطباق في المناظرة:

تشكل ظاهرة الطباق مقدمة رئيسة في الإقناع بالحجة، وذلك عندما يجد الخصم نفسه أسيراً لأن يختار النفي أو الإثبات في تقرير أمر أو الجواب عن السؤال، وحينئذ يكون اختياره لأحدهما إقراراً به ورفضاً لظده، ومن اللافت للنظر في مناظرة الأذرمي لأحمد بن أبي دؤاد اشتغال الخصومة بين الحق والباطل على ثنائيات ضدية في صور عدة؛ منها: طباق السلب؛ فيقول الشيخ الأذرمي: القرآن كلام الله غير مخلوق، ويقول ابن أبي دؤاد: القرآن مخلوق، ويمكن توضيحها على النحو التالي:

التنائيات الضدية:	الشيخ الأذرمي:	أحمد ابن أبي دؤاد:
التنائية الظاهرة:	القرآن كلام الله <u>غير مخلوق</u> .	القرآن... <u>مخلوق</u> .
التنائية الخفية:	الإثبات(ظاهر)/النفي(ظاهر)	الإثبات(ظاهر)/والنفي(خفي)
التفسير الدلالي:	إثبات صفة الكلام لله ونفي أن يكون القرآن مخلوقاً.	نفي صفة الكلام عن الله، مع إثبات أن يكون القرآن مخلوقاً.
التلازم الحجاجي	يلزم من إثبات صفة الكلام لله أنها منه، ومن ثم فليس القرآن بمخلوق	يلزم من عدم إثبات الكلام لله أنه ليس منه، ومن ثم فهو مخلوق

(١) الشنقيطي، محمد الأمين: آداب البحث والمناظرة، تحقيق: سعود العريفي، طه،



ويظهر من الطباق بالسلب أن الأذرمي حريص على إظهار معتقده في (الإثبات والنفي) وهذا ديدن أهل الحق والسنة يثبتون ما أثبتته الله ورسوله وينفون ما نفاه الله ورسوله لا يسترون من ذلك شيئاً، وأما ابن أبي دؤاد فقد أظهر أن القرآن مخلوق ولم يثبت صفة الكلام لله فأخفى نفيها في نفسه ولم يبيده، فقال: القرآن مخلوق، حتى لا يحتج على نفسه ببطلان معتقده في افتتاح المناظرة.

ويوظف الأذرمي الطاقة الحجاجية للطباق بين (الإكمال والنقص) في إجماع الخصم الحجة مرتين: الأولى: في سياق التساؤل عن الدين، فيقول: يَا أَحْمَدُ، أَخْبِرْنِي... أَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى الصَّادِقُ فِي إِكْمَالِ دِينِهِ، أَمْ أَنْتَ الصَّادِقُ فِي نُقْصَانِهِ، فَلَا يَكُونُ الدِّينُ كَامِلًا حَتَّى يُقَالَ فِيهِ بِمَقَالَتِكَ هَذِهِ؟ فقد وقع الطباق بين (إكمال الدين ونقصانه) في سياق الاستفهام "بهمزة التصور التي يطلب بها تعيين المفرد وتحديده" وعلى الخصم أن يحدد في الجواب ما قبل أم المعادلة أو ما بعدها، فإنه يلزم أن يقول بما قبلها: اللَّهُ تَعَالَى الصَّادِقُ فِي إِكْمَالِ دِينِهِ، لقوله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3] وإذا قالها، فقد أخرج قولته من كمال الدين، ومن ثم أثر السكوت فلم ينطق، حتى لا يحتج على بطلان ما اعتقد.

والثانية في سياق التساؤل عن الله في وحدانيته قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ كَانَتْ تَامًا أَوْ نَاقِصًا؟ قَالَ: بَلْ تَامًا. قَالَ: فَكَيْفَ يَكُونُ تَامًا مَنْ لَا كَلَامَ لَهُ، فَسَكَتَ أَحْمَدُ.

ويتخذ الأذرمي ثنائية (العلم والجهل)، و(البلاغ والكتمان) حجة في دحض ادعاء ابن أبي دؤاد، فيقول: يَا أَحْمَدُ أَخْبِرْنِي عَنْ مَقَالَتِكَ هَذِهِ، أَعَلِمَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْ جَهْلَهَا؟ فالجأه إلى نسبة العلم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليجعل من ذلك حجة عليه في طلب الدليل على

الدعوة إليها من السنة، ولذا قال: فَهَلْ تَقْدِرُ أَنْ تَقُولَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلَّغَنَا هَذَا الَّذِي تَدْعُونَا إِلَيْهِ؟ أَمْ هَذِهِ الْمَقَالَةُ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ حَتَّى تُتَابِعَكَ عَلَيْهَا، وَإِنْ قُلْتَ: إِنَّهُ لَمْ يُبَلِّغْنَا، فَقَدْ نَسَبْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِ اللَّهِ، وَأَنْتَ كَتَمْتَ أَمْرًا أَمَرَهُ اللَّهُ بِبَلَّغِنَا إِيَّاهُ، فَسَكَتَ أَحْمَدُ فَلَمْ يُجِبْهُ بِشَيْءٍ.

ويأتي طباق السلب بين الفعلين: (لَمْ يَتَّسِعْ، مَا اتَّسَعَ) في عَجْز المناظرة؛ ليلزم الخصم بالإمساك عما أمسك عنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: إِنَّ (لَمْ يَتَّسِعْ) لَكَ الْإِمْسَاكُ عَنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ، (مَا اتَّسَعَ) لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَلَا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَى مَنْ لَمْ يَتَّسِعْ لَهُ مَا اتَّسَعَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ. ولقد خص الإمساك بالذكر، لأن في عدم الإمساك عن البدع من الشر ما لو مُزِجَت قطرة منه بعقل وقلب لم يستضيئ بنور السنة، لتحول عنها.

ومن الطباق الذي كرره الأذرمي في الإفحام بالحجة عقب كل سؤال، طباق الإيجاب بين الفعلين: (تكلم، سكت)، وطباق السلب بين الفعلين: (أجب، لم يجب)، وهو طباق يبرز لنا أثر الحق في دمع الباطل وإسكاته عن الإجابة عن الحجج والبراهين الدالة على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وقد دلت الثنائيات الضدية على أن المنبع الذي احتج به الأذرمي في تقرير المعتقد الصحيح لم يخرج عن الكتاب والسنة، وكفى بهما حجة لكل مستنير.

## ٨- حجاجية الألفاظ والتراكيب:

لللمعة المفردة دور حجاجي لا يقل عن دورها الإقناعي في السياق الذي بنيت على مقتضاه المعاني، وقد استطاع الأزرمي أن ينتقي من الألفاظ ما تنهض به الحجج؛ للتأكيد على دعوته بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، ويمكن بيان ذلك على النحو التالي:

### أ- حجاجية الألفاظ:

يظهر الدور الحجاجي لللمعة عند جودة انتقائها وإيثارها على غيرها من الكلمات، وقد أبانت المناظرة عن قدرة الأزرمي على الانتقاء الحجاجي لكثير من الألفاظ؛ لما لها من دور إقناعي لا يمكن إغفاله، ومن ذلك استعمال الأزرمي للفعل: يقل ويضيق في قوله: "يا أمير المؤمنين إن ابن أبي دؤاد يقل ويضيق عن المناظرة"، ففيها استفزاز وتهيج لابن أبي دؤاد؛ ليستخرج أقصى ما عنده في المناظرة والجدل؛ حتى إذا وقع عليه الإفحام وألقمه الحجر، ثبت انقطاعه غاية الثبوت بعد هذا التحدي الواضح والسكوت الفاضح. وقد أثر الأزرمي أن يعبر بكلمة "عقد" مع أن الكلام بدونها - في الظاهر - مستقيم؛ فيصح أن يقال: "أواجبة داخله في الدين؟ وذلك للدلالة على شمولية الدين واكتماله اكتمالا لا يدع مجالاً للأهواء، حتى تحكم فيه؛ فالدين كالعقد المتين المترابط الذي لا ينفرط منه شيء، ولا يدخله من الأهواء شيء دون أن يُفصح أصحابها. ومن اللافت للنظر نداؤه الوزير أحمد بن أبي دؤاد باسمه: "يا أحمد" دون أي لقب؛ للدلالة على أن الأهواء توضع عن أصحابها الألقاب الحقيقية وتسلبهم المنزلة العلية؛ فضلا عن رغبة الأزرمي في دفع كل ما يحيل بين الناس والحق من توقيهم للألقاب وإن كان أصحابها على باطل. وفي قول الأزرمي: "يا أحمد، قد عَلِمْنَا وَعَلِمْتَ"؛ مما يستوقف فيها تعبيره عن نفسه بضمير العظمة "نا"، وعن خصمه بضمير الأفراد وهو تاء المخاطب في قوله: "علمت"؛ لانعقاد العلم باتفاق على ما عليه الأزرمي من الحق كما أن علمه مقدم على علم ابن أبي دؤاد وهاديا له في تقويم بدعته. وفي هذا النص أيضا يقول:

"أم هذه المقالة في كتاب الله أو سنة نبيه حتى نتابعك عليها؟" كان يمكن أن يقول: حتى نقول بها، ولكنه قال: "نتابعك" لإنصاف الخصم، بأن حجته إذا كانت ناهضة صار بها إماما متبوعا وصار الأذرمي له مأموما تابعا. وعبر عن السكوت بالإمساك في موضعين: فقال: يَا أَحْمَدُ، قَوْلُهُ: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السجدة: ١٣] الْكَلِمَةُ مِنْهُ أَمْ خَلَقَهَا مِنْ غَيْرِهِ؟ فَأَمْسَكَ أَحْمَدُ؛ لَأَن فِي الْإِمْسَاكِ امْتِنَاعَ وَكَفٍ يَبْرُزُ عَدَمَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْمَجَارَاةِ فِي الْمُنَاطَرَةِ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ حِجَّةَ الْأَذْرَمِيِّ دَامِغَةٌ، لَا يَحْسُنُ مَعَهَا إِلَّا الْاسْتِسْلَامَ وَالْإِذْعَانَ. وَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ قَدَّمْتُ أَنَّهُ يَضْعُفُ عَنِ الْمُنَاطَرَةِ. إِنْ لَمْ يَنْسَعِ لَنَا الْإِمْسَاكُ عَنْهَا، فَلَا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيَّ مَنْ لَمْ يَنْسَعِ لَهُ مَا اتَّسَعَ لَهُمْ. فَعَبَّرَ عَنِ السُّكُوتِ بِالْإِمْسَاكِ؛ لَأَنَّ فِي الْإِمْسَاكِ كِفًا وَامْتِنَاعًا وَعَدَمَ إِقْرَارٍ لِلْمُخَالَفِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنَ السُّكُوتِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَسْكُتَ الْمَرْءُ مَعَ رِضَاهُ عَنِ فِعْلٍ غَيْرِهِ.

#### ب- حاجية التراكيب:

تزداد الفاعلية الحاجية للكلمات في التركيب الذي تنشأ فيه، ومن ذلك إتيان الأذرمي بعد قوله: أواجبة داخله في الدين؟ بالجملة البيانية التفسيرية؛ "فلا يكون الدين كاملا حتى يقال فيه ما قلت؟ للإطناب في حجية السؤال عن كمال الدين، والتمهيد للاستشهاد على ذلك بما يدفع القول بأن القرآن مخلوق. ومن ذلك أيضا إقامة الجملة على أسلوب الإخبار في أولها والاستفهام في آخرها في قوله: "يا أحمد، الكلمة التي يُكوِّنُ الله تعالى بها الأشياء: من أي شيء خلقها؟ وكان يمكن أن يقال: من أي شيء خلق الله تعالى الكلمة التي يكون بها الأشياء؟ فيكون الاستفهام الذي هو مقصود الجملة في أنفها وصدورها؟ والسر في ذلك تقديم الأهم؛ ليكون ممهدا للسؤال ومقررا له، فالقضية الأهم هي بطلان أن يكون القرآن مخلوقا، وقد استغرق ذلك الإخبار والإنشاء، وقول الأذرمي: يا أمير المؤمنين عليكم نزل العلم، ومنكم اقتبسناه" حيث أقام الجملة على أسلوب القصر بتقديم الجار والمجرور على متعلقه؛ للتواضع والاهتمام ببيان إقرار الواثق لحجة

الأذرمي، وللدلالة على أنه لا ينبغي أن يكون ما ينطق به أمير المؤمنين من الحق مخالفا لما نزل عليهم من العلم.

#### ٩- حسن الختام ودوره الحجاجي في المناظرة:

من جودة الختام الحجاجي للمناظرة قدرة الأذرمي على المزج بين الحجاج العقلي والنفسي، وقد اشتملت هذه المناظرة على أرجى ما يطلبه المناظر ويسعى إليه من طلب الخصم للازدياد من الحجج: قَالَ الْوَائِقُ: يَا شَيْخُ زِدْ أَحْمَدَ مِنْ هَذِهِ الْحُجَجِ لَعَلَّهُ يَرْجِعُ عَنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ. وإقرار أفضل الخصوم بالحجة في القول والاعتقاد، فَقَالَ الْوَائِقُ: نَعَمْ إِنْ لَمْ يَنْسَعْ لَنَا مِنَ الْإِمْسَاكِ عَنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ مَا اتَّسَعَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَلَا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْنَا، ثم التأكيد على الإثبات الذي استهل به مناظرته، حيث قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ قَدَّمْتُ لَكَ الْقَوْلَ أَنْ أَحْمَدَ يَصْنُبُو وَيَقِلُّ وَيَضْعُفُ عَنِ الْمُنَازَرَةِ، ثم تحقق الثمرات المرجوة من ذلك كله على الأذرمي والوائق وابنه، كالعفو بأمرين: اقْطَعُوا قَيْدَ الشَّيْخِ... سَلْنِي حَاجَةً... وَأَمَرَ بِرَدِّهِ مُكْرَمًا. والتوقير للسلطان، فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: عَلَيْكُمْ نَزَلَ الْعِلْمُ، وَمِنْكُمْ اقْتَبَسْنَا... وَاللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَقَدْ جَعَلْنَاكَ فِي حِلٍّ وَسَعَةٍ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ إِكْرَامًا لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، إِذْ كُنْتَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِهِ، والاستعطاف الحجاجي (وبكى الشيخ فبكى الوائق وبكىنا)، ثم النتيجة الكبرى للحجاج؛ وهي التوبة من القول بخلق القرآن، قال الْمُهْتَدِي بِاللَّهِ رَحْمَةً اللَّهُ عَلَيْهِ: فَرَجَعْتُ عَنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ مُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَأَظُنُّ الْوَائِقَ بِاللَّهِ كَانَ رَجَعَ عَنْهَا مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ. وَلَمْ تَسْمَعْهُ يُنَازِرُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ الْقَوْلِ حَتَّى مَاتَ.

ولا أعلم في هذه المحنة مناظرة تربو عليها في نتائجها، مع براعة استهلالها، ووجيز بنائها، وإطناب حجاجها، وعمق سؤالها، وجودة إلزامها، ووضوح طباقها، وحسن ختامها، ورجوع أمير خصومها، والإمساك عن الخوض فيها.

## الخاتمة

- تنبئ الوسائل البلاغية للحجاج في مناظرة الأذرمي وأحمد بن أبي دؤاد في بدعة القول بخلق القرآن عن عدة نتائج نجلها على النحو التالي:
- ١- اتسمت المناظرة بالتدرج الحجاجي، والتماسك النصي بين الإلزامات الحجاجية، حتى غدت لُحمة واحدة في دحض بدعة القول بخلق القرآن على يد الأذرمي.
  - ٢- تنوعت الوسائل البلاغية التي استعملها الأذرمي في الخطاب الحجاجي؛ ومن أهمها: براعة الاستهلال، والإيجاز، والإطناب، والتكرار، والطباق، والإلجاء، وحجاجية الألفاظ والتراكيب، وحسن الختام، وقد أبانت الدراسة عن أهمية هذه الوسائل البلاغية في إفحام الخصم بالحجة، فلها دور حجاجي لا يقل في الأهمية عن دورها الإمتاعي.
  - ٣- اتضح أن للأذرمي قدرة حجاجية على أن يأتي بترتيب المعاني في الذكر كترتيبها في الفكر، فوقعت موقعا مقنعا، وأبانت حجج الأذرمي أن دعوى ابن أبي دؤاد مجرد ادعاء لاسند له من دليل يعضده أو حجة تنصره.
  - ٤- اعتمد الأذرمي في إقامة الحجة على توظيف ثنائية الإيجاز والإطناب في إفحام الخصم، فبنى الإلزامات الحجاجية على الإيجاز والاختزال، وجعل الإطناب المتمثل في الربط الاستشهادي بالآيات مقدمة له.
  - ٥- اتضح أن للأذرمي قدرة كبيرة على التوجيه الحوارية في المناظرة، مما يعني أنه يقوم بدور (المخاطب) و(المخاطب) لحمل الخصم على الجواب المحدد.
  - ٦- غلب على ابن أبي دؤاد الإذعان والتسليم في كل الحجج التي طرحها الأذرمي في دحض بدعة القول بخلق القرآن، وقد كشفت الدراسة عن

- التدرج التنازلي للخصم في النطق بكلمتين، ثم ثلاثة أحرف، ثم حرفين، حتى انقطاع النفس بالسكوت عقب الحجج التي أدلى بها الأذرمي.
- ٧- أبانت الدراسة أن للأذرمي قدرة كبيرة على الانتقاء الأسلوبي للألفاظ، والتراكيب، والسؤال الحجاجي في المناظرة.
- ٨- تميزت هذه المناظرة بدلالة آخرها على أولها، وأولها على آخرها، في التقرير بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وقد عزز من ذلك الاعتماد على القرآن والسنة في دحض شبه الخصم.

## المصادر والمراجع

- أولاً: المصادر:
- القرآن الكريم
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم: اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت.
- ابن الأثير، نجم الدين أحمد بن إسماعيل: جوهر الكنز تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة، تحقيق: محمد زغلول سلام، الأسكندرية، منشأة المعارف، ٢٠٠٩م.
- ابن الأثير، نصر الله بن محمد بن محمد: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ.
- ابن بطة العكبري، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد: الإبانة الكبرى، تحقيق: رضا معطي، ط٢، دار الراية، الرياض، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.
- ابن تيمية، تقي الدين: مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد، السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد: مناقب الإمام أحمد، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط٢، دار هجر، ١٤٠٩هـ.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد: مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.



- ابن قدامة المقدسي، أبو محمد موفق الدين: روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ط ٢، مؤسسة الريان، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.
- ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب، ط ٥، بيروت، دار صادر ٢٠٠٥م.
- ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش: شرح المفصل للزمخشري،، قدم له: إميل بديع يعقوب، ط ١، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.
- أبو منصور الثعالبي، عبد الملك بن محمد: الإيجاز والإعجاز، القاهرة، مكتبة القرآن، د.ت.
- الأجرئي: أبو بكر محمد بن الحسين، الشريعة، تحقيق: عبد الله بن عمر، دار الوطن، ط ٣، الرياض/السعودية، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
- أوليفي روبول: مدخل إلى الخطابة، ترجمة: رضوان العصبه، مراجعة: حسان الباهي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء ٢٠١٧م.
- بامخرمة، أبو محمد الطيب بن عبد الله: قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، عني به: بو جمعة مكري، خالد زواري، ط ١، دار المنهاج، جدة، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٨م.
- البغوي، الحسين بن مسعود: معالم التنزيل تفسير البغوي، محمد عبد الله النمر، وآخرون، دار طيبة، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.
- التتوخي، زين الدين محمد بن محمد: الاقصى القريب في علم البيان، ط ١، مطبعة السعادة، ١٣٢٧هـ.
- التهانوي، كشاف إصلاحات الفنون، تحقيق رفيع العجم، وعلي دحروج، مكتبة لبنان، ط ١، ١٩٩٦م.
- الجاحظ: عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، ط ٧، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٨م.

- الجاحظ: عمرو بن بحر: رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، ط١، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٩٩هـ.
- الجرجاني، عبد القاهر: أسرار البلاغة، تحقيق: محمود شاكر، القاهرة، الخانجي، ٢٠٠٠م.
- الجرجاني، علي بن محمد: كتاب التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ.
- جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- الحلبي، شهاب الدين محمود: حسن التوسل إلى صناعة التوسل، مصر، المطبعة الوهبية، ١٣٩٨هـ.
- الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ط٣، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.
- الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي: تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.
- الدينوري، ابن قتيبة: الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، تحقيق: عمر بن محمود، ط١، دار الراجية، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
- الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.
- السمعاني، أبو سعد عبد الكريم محمد: الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى وغيره، ط١، حيدر آباد، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٢هـ، ١٩٦٢م.

- الشريم، إبراهيم بن علي بن محمد: تسليية المصاب عند فقد الأقربين والأصحاب، الموصل، دار ابن الأثير، د.ت.
- الشيباني: الرسالة العذراء في موازين البلاغة وأدوات الكتابة، تحقيق: يوسف محمد فتحي، القاهرة، دار الطلائع، ٢٠٠٥م.
- الطوفي، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم: الإكسير في علم التفسير، بتحقيق: عبد القادر حسين، القاهرة، مكتبة الآداب، ١٩٧٧م.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل، ط٢، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت.
- الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، ط٨، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
- الكلاعي، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور: إحكام صنعة الكلام، تحقيق: محمد رضوان الداية، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٦م.
- اللالكائي، أبو القاسم هبة الله: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق: أحمد بن سعد، ط٨، السعودية، دار طيبة، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.
- المباركفوري، عبيد الله الرحمانى: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ط٣، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، بنارس الهند، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
- المصري: ابن أبي الإصبع: بديع القرآن، تحقيق: حفي شرف، القاهرة، دار نهضة مصر.
- النيسابوري، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم: مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، لبنان، دار المعرفة، د.ت.

- **المراجع:**
- بو مصطفى: أيمن: الحجاج ووسائله البلاغية في النثر العربي القديم، طنطا، دار النابعة، ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م.
- البيروتي، ابن البيطار الجزائري: المفخرات والمناظرات، تحقيق: محمد حسان الطيان، ط١، دار البشائر الإسلامية، ١٤٢١هـ، ٢٠٢٢م.
- رضوان، ياسر عبد الحسيب: الروابط الحجاجية في الخطاب المقدماتي: غريب الحديث للخطابي نموذجًا، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، ع٦٩، مايو ٢٠٢١م.
- سعودي، نواري: الاستهلال وأدواره الحجاجية في الخطاب السردى مقارنة تداولية في نماذج من نواذر الجاحظ، حولية كلية اللغة العربية بجرجا، مج ٢٤، ع ٢، فبراير، ٢٠٢٠.
- السعيدى، ناصر بن دخيل: الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغى دراسة وصفية، رسالة دكتوراة، أم القرى، السعودية، ١٤٢٦هـ.
- صولة، عبد الله: الحجاج: أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة لبرلمان وتتيكاه، ضمن فريق البحث في البلاغة والحجاج: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادى صمود، تونس، المطبعة الرسمية، دت.
- عبد المطلب، محمد: الحوارات القرآنية قراءة حجاجية، ط١، طنطا، دار النابعة، ١٤٤٢هـ، ٢٠٢١م.
- العثيمين، محمد بن صالح: شرح العقيدة السفارينية، بيروت، لبنان، الكتاب العالمى للنشر.
- عليو، محمد الشيخ: مناهج اللغويين في تقرير العقيدة إلى نهاية القرن الرابع الهجرى، الرياض، دار المنهاج، ١٤٢٧هـ.